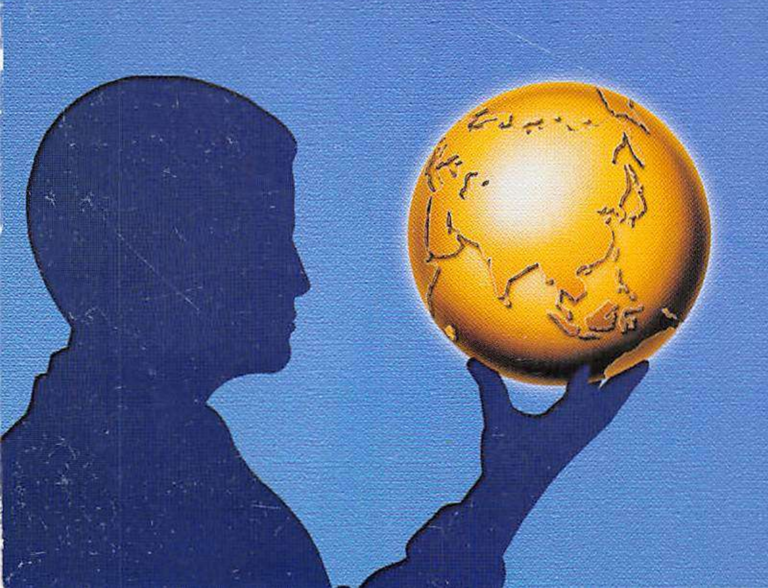


نشر بدعم من أمانة عمان الكبرى

آفاق الحوار الإسلامي المسيحي

تأليف

زيدان عبد الفتاح قعدان





ترجمة المؤلف

بعد أن أنهى المؤلف الدراسات المنهجية ، عكف على حفظ القرآن الكريم ومن ثم التأمل والبحث في آياته ، بقي كذلك عدة سنوات .

في رحلته تلك اكتشف عظمة الكتاب ، وما تنطوي عليه آياته في كل مناحي الحياة ، فنذر نفسه على خدمته ما دام فيه عرق ينبض ، فوضع في مجاله مختلف الدراسات طبع منها :

١- منهج القرآن في الإقتصاد .

٢- المرأة في ظل شريعة القرآن .

٣- مدينة الله في الأرض - قراءه معاصرة

أما غير المطبوع منها :

١- الله يتجلى في عصر الطاقة .

٢- العقل محاوله لفهم عصري .

والآن جاء دور هذا الكتاب (آفاق الحوار الإسلامي المسيحي) لعل وعسى أن يكون فيه النفع والخير الكثير.

آفاق الحوار
الإسلامي المسيحي



المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٠٥/١/١٠٩)

٢١٧،٨

قعدان ، زيدان عبد الفتاح

آفاق الحوار الإسلامي المسيحي / عبد الفتاح قعدان .ـ عمان : دار البشير ، ٢٠٠٥ .

(١٨٤) ص.

ر.إ (٢٠٠٥/١/١٠٩) .

الواصفات : / الإسلام // المسيحية // الديانات /

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية





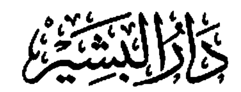
آفاق الحوار الإسلامي المسيحي

تأليف

زيدان عبد الفتاح قعدان



نشر بدعم من أمانة عمان الكبرى



إهداء

إلى الإنسان خليفة الله في الأرض ..إلى المسلمين ..إلى المسيحيين نقول أن: الله الذي بدأ خلق الإنسان من طين وهوالله الذي بدأ خلق آدم من تراب وهو الذي قال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩].

ونقول أيضاً أن الله واحد لاشريك له:﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:٢٢].

وكلمة (لاإله الاالله) هي الكلمة المشتركه بين الأديان: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:٦٤].

وهو الذي دلنا على طريق الحوار وقال: ﴿۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٦].

وكل المؤمنين لايفرقون بين رسل الله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبينا وعلى رسل الله أجمعين الذين أقاموا دين الله في الأرض على العدل والقسطاس المستقيم وبعد:

هذا الكتاب هو محاوله جاده على صعيد الفكر الإنساني – الديني، وهي دراسه علميه تبحث عن الحقيقة الكبرى في الإسلام والمسيحيه وبراءة المسيح من خلالهما، والدراسه تبحث عن الحقيقة التي تصلح أساساً للحوار الإسلامي المسيحي ..

وازاء ذلك تناولت الحقيقه المسيحيه وحقيقة المسيح بالذات من المصادر المعنيه بهذا الأمر والتي لم تخرج عن الدراسه الموضوعيه لابل أكثر ما اعتمدت في الجانب المسيحي أو الحقيقه المسيحيه على المصادر التاريخيه الأصيله ومن أفواه أصحابها لابل ومن كتبهم، وفي الجانب الإسلامي لم أرَ حقيقةً ناصعةً حول الموضوع أحسن مما هو في القرآن الكريم فهو يرسم الصوره والحقيقه المسيحيه بدقة متناهيه وللحق لم أر براءة المسيح من كل التهم الموجه اليه سواء من الأعداء أو من الأصدقاء ناصعةً بيضاء أكثر مما ذكرت في القرآن الكريم وحتى أصل الى الحقائق المرجوه تناولت أولاً في مقدمة الكتاب الحقيقه الواحده في الإسلام والمسيحيه ثم قدمت في الفصل الأول حقيقة المسيح في القرآن الكريم فكانت ناصعة البياض بريئه من كل مايعتور حقيقته من الشوائب لأن الحقيقه القرآنيه بخصوص الرسل والأنبياء محفوظه من الخطأ أو التحريف بأمر من الله قاله في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] .

وفي الفصل الثاني تعرضت لحقيقة المسيح في الأناجيل ولاأخفي أنني رأيت أو لمست الحقيقه المسيحيه تتعرض لبعض التصرفات الإنسانيه سواء حول حقيقة المسيح أورسالته مما جعلني أتعرض لبعض الإنحرافات الدينيه في **الفصل الثالث** وأثر هذه الإنحرافات في اذكاء الصراع الديني الأمر الذي جعلني أتعرض لهذا الموضوع .. بعنوان الصراعات الدينيه وأسبابها وقمة ذلك، جاء **في الفصل الرابع** بعنوان الحروب الصليبيه وأسبابها ووسائلها وآثارها في المسيره البشريه.. الأمر الذي جعلني أضع تصوراً أو آفاقاً لحوارات دينيه في **الفصل الخامس** فوضعت أُسساً لهذه الحوارات الدينيه قائمه طبعاً على أساس الكلمه المشتركه أو الحقيقه الواحده وهي التوحيد الإلهي وخاصه الحوار الإسلامي المسيحي وامكانية الوصول الى الحقيقة الكبرى وهي أن الله واحد لاشريك له وهو الغاية المثلى لرسالات الأنبياء كل الانبياء.. مما دفعني الى طرح التجربه الإسلاميه وبينت دين الله المقبول في السماء والأرض والذي هو خاتمة الرسالات السماويه الشامله أو خاتمة البيان السماوي وهو دين الله (الإسلام) الذي بشر به كل الأنبياء وكان ذلك **في الفصل السادس** وحتى أؤكد على براءة ونزاهة هذه الصيغه تتبعت التجربه الإسلاميه في أوروبا ومظاهر النجاحات في هذا السبيل والتوفيق بين أصحاب الرسالات.. وفي الختام طرحت نماذج من الحورات الدينيه خاصه الحوار الإسلامي المسيحي ومظاهر التواصل الحضاري بين المسلمين والمسيحين وكان ذلك من خلال ابراز شواهد واعترافات على أهميه هذا التواصل لجسر الهوه المصطنعه بين الطرفين.. من خلال كلمة (لاإله الا الله) المشتركه..

مقدمه

الإسلام والمسيحيه والحقيقة الواحده

البشريه- منذ بدء الخليقه ،كان منشؤها على الأرض واحداً، وهو آدم، وكان خلقه من طين وتربة الأرض.. وكل الرسالات الآتيه من السماء والتي مصدرها الخالق تشهد.. بالحقيقة الواحده في الخلق والمنبت والخالق الواحد.

وعليه كان الناس أُمة واحده، ولكن الله بعث النبيين – مبشرين ومنذرين، بين فترة زمنيه وأخرى.. ودعوة كل نبي، كانت الدعوه للتوحيد الإلهي، والإسلام لرب العالمين.. أولاً ومن ثم ترسم أطر الحق – وتدعو اليه، وأطرالباطل وتنهى عنه لتنصر الأول وتهزم الثاني ولتبقى كلمة الله هي العليا على مر السنين وتعاقب الأجيال.

فكانت القضيه الروحيه لكل رسول.. الدعوه للتوحيد، وأن لا إله إلا الله لاشريك له في الملك.. لم يلد ولم يولد، فلا أبناء له ولا أحفاد، له ملك السماوات والأرض، وما من دابة في الأرض الا هو آخذ بناصيتها. وفي ذلك قمة التوحيد والخلوص..

وما اختلف الذين أوتوا الكتاب، الا من بعد أن جاءتهم البينات، فاختلفوا حتى مع حقائق دينهم..

وجعلوا لهم أوثانا" يعبدونها من دون الله – إنْ في دعوة المسيح بأنه ابن الله أو هو ثالث ثلاثه.. وكذا فعل الذين من قبلهم – فاخذهم الله بظلمهم وبما كانوا على الله يفترون.. فذهب قوم عاد وثمود ومنهم من أخذتهم الرجفه، ومنهم من جاءتهم ريح عاتيه ومنهم من خسف الله بهم وبدارهم الأرض وبقيت الكلمه الأبديه –كلمة

الله- ناصعة منتصره في كتاب الله العظيم (القرآن)، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

ولكن بقى الصراع.. أيضاً أبدياً بين الحق والباطل.. وكان عقاب الله عاجلاً أما الآن، بعد نزول القرآن أصبح آجلاً.. إذ لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على الأرض من دابه ومن ثم كتب الله أن يؤخر الناس الى أجل مسمى مهما كان الصراع مريراً وعاتياً..

وهكذا بقى الصراع بين الحق والباطل، يشتد تارة ويخبو أخرى ومثل ذلك حدث بين أصحاب الكتب السماويه.. بين المسلمين والمسيحين ومن ثم سمى الصراع الإسلامي المسيحي. وهو بالحق صراع بين الحق والباطل.. يحدث مثله في الدين الواحد فكيف لايحدث مثله في الأديان – التي سموها على أسماء أصحابها ولم يعرفوا أن الدين عند الله هو الإسلام..لاغير.

وهذا مايؤكد أن الصراع الذي يدور بين الإسلام والمسيحيه لا أساس له من الصحه.. لأن حقيقة المسيحيه الأولى – التي جاء بها المسيح(عليه السلام) لاتتصارع ولاتتناقض مع ما جاء به محمد (عليه السلام) في رسالته الماثله ليومنا هذا – في القرآن الكريم..

فحقائق الأديان واحده – وهي الدعوه للتوحيد الإلهي ونبذ القتل والسرقه والزنا، ومن ثم الحكم بين الناس بالعدل.

هذا هو جوهر الأديان كلها وما جاء في الإسلام هو إتمام المسيره الدينيه التي بشر بها الأنبياء أو هو الدين الذي جمع فأوعى وجاء ذلك في أعظم كتاب وهو القرآن.. فيه خبر الاولين وفيه خبر الأنبياء والمرسلين وفيه التشريع الشامل، والعقيدة الثابته ..

إذ لايأتيه الباطل لامن بين يديه ولامن خلفه فصدّق بالأديان ومن جاء بها.. وبيّن أنه ناسخ لها جملة وتفصيلا لأنه احتواها. ومن ثم من ابتغى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه..

ففي الإسلام..جاءت الحقيقه، ناصعه لالبس فيها ولاغموض ولاتشوبها شائبه.. كيف لا وهى آتيه من السماء وتصدّقها تجربته في الأرض، لابل الكون كله فهي حقيقة الحقائق..

نعم هي الحقيقة الكبرى: وهي واضحه وضوح الشمس في رابعة النهار ووضوح القمر في ليلة البدر..

كل شيء ينطق بهذه الحقيقه – حقيقة الخالق الواحد الذي لاشريك له في الملك ولافي القدره ولايساعده في تدبير الكون مدير أو مهندس أو معلم أو مزارع أو طبيب أو فيلسوف فهم أصغر وأحقر من مشاركته في ذلك..

وهو الذي خلق السماوات والأرض والشمس والقمر ولا أحد في السماء ولافي الارض من يدّعي فعل ذلك لابل لم يُشهد أحداً من خلقه على ذلك.. وهذا الكون المدبر بهذه الكينونه..

لاترى فيه من تفاوت ولاخلل ولا بحاجة الى صيانه.. هل رأى أحد منكم مثلاً من صعد الى القمر فوضع لبنة فيه أو وضع آلة لتصحيح مساره.. أو من وضع فيه زيتاً أو بنزيناً لتسّيير دفة الشمس، مثلاً أو القمر..

كل ذلك ينطق بالحقيقة الكبرى..

والمسيح أو غيره لن يستنكف أن يكون عبداً مخلصاً في العباده لرب العالمين فهو لايملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، لاهو ولاغيره من البشر.. كل ذلك مكتوب في القرآن العظيم المحفوظ برعاية الله – فهو مستند صدق يصلح للقول الفصل في

أخبار الغيب.. وأخبار الساعه والقدره والعلم والملكوت السماوي والأرضي كيف لا وهو رسالة السماء الشامله الى الأرض..

في هذا الكتاب –توضيح شامل للحقيقه العظيمه التي جاء بها كل الأنبياء من آدم الى نوح وابراهيم الى موسى وعيسى كلهم يخدمون الرب ((لا اله إلاهو وحده لاشريك له))... هذه الحقيقة التي نكرسها هنا هي الحقيقه الكبرى التي جاءت واضحه في رسالة المسيح وواضحه، في رسالة محمد عليهما السلام.. وهذه الحقيقه هي الأساس أو هي العنصر الرئيس في الحوار الإسلامي – المسيحي.

****

الفصل الأول
حقيقة المسيح في القرآن

أسرته : أولاً- من هي اسرته..

بادىء ذي بدء.. يخبرنا القرآن أن مولده كان آيه من آيات الله وهذا تقدير له عبّر عنه مصدر الإسلام الأول بنصوص لاتقبل التأويل.. قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٢١].

وعليه فإن مولده كان آيه من آيات الله لا بل كان نبياً في قومه يهديهم ويرشدهم سبيل الهدى – هدى الله. وفوق ذلك كان ميلاده معجزه إذ ولد من غير أب.. وهذا خارق للعاده وقبل أن نخوض في هذا لنر قصة أمه أولاً وسيرتها– وهل هي مؤهله لهذا الحمل والعبء العظيم.. ولنرى ذلك من خلال القرآن لئلا يدخل بحثنا في هذا الامر الإجتهاد والتأويل.. ففي القرآن، قول الفصل.

فبداية القصه هي على لسان إمرأة عمران وهي أم مريم..

إمرأة عمران

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران:٣٥].

وهذا الطلب من امرأة عمران والمقرون بالنذر، لأنها كانت امرأة عاقراً وتقدمت بها السن ولم ترزق من قبل بولد أو بنت ..

وعليه كانت رغبتها في الولد أكبر لتفي بنذرها الا أنها أنجبت بنتاً وهذا بالنص القراني :

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [آل عمران:٣٦].

هذه حقائق – يعلمها علام الغيوب- إلا أنها قيلت من قبل امرأة عمران، وربما للتدليل على أن الأمر سيكون عظيماً بشأن هذه المرأه، مريم، وكأنه يقول: إني أعلم من شأنها وشأن مستقبلها أكثر مما تعلمين ومثله قالت الملائكة بصدد آدم عليه السلام ..

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٣٠]

وكان ذلك ايذاناً بشأن مكانة آدم عليه السلام، وعلمه، حيث ((وعلم آدم الأسماء كلها)) نفس الشيء حين نوه عن مكانة مريم وشأنها العظيم في المستقبل.. أما صفات المرأه المذكوره –مريم – فقد جاء ذلك بالنص القرآني الذي لالبس فيه ولاغموض قال تعالى بشأنها:

﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧،٣٦].

قصة أمه مريم

وهكذا كانت أم مريم قريبه من الله وإلا لما لجأت إليه حين دعت ربها ليهب لها مولوداً ذكراً قادراً على خدمة البيت أو المعبد ذاكراً عابداً لله سبحانه وتعالى، وقد وهبته من يوم حملت به لهذا الأمر وتلك المهمه وهي كانت ترى في الولد قدرةً على القيام بهذه المهمه وكانت ربما تشير إلى الظروف والأعباء التي تمنع المرأه من القيام بهذه المهمه، لما تعاني من أعباء الحمل والولاده والحيض ..الخ

وزيادة في الإيمان قالت: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦].

والحق، إن آل عمران هم من المقربين أو المصطفين الأخيار فيقول الله تعالى بالنص القرآني الآتي: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٣٣]

وهكذا، عاشت مريم، في بيت كريم يعبق بالإيمان والعباده والخلوص لله تعالى.. ولم يكن حالها غريباً عن حال أهلها حتى الذي كفلها وهو زكريا عليه السلام كان تقياً عابداً لله تعالى.

وفي هذا الجو المؤمن عاشت مريم حياتها الأولى وقد أورد القرآن ذلك حين قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

أي أنها منزهه عن العبث والإستهتار والفساد.. هكذا هي مريم في تراث الإسلام والمسلمين ولاغرابه فالأمر منصوص عليه في القرآن الكريم.. حتى قومها اعترفوا لها بذلك وبحسن سيرتهاوحسن أخلاقها..

﴿ يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾ [مريم:٢٨]

الحق ان الأمر غريب وجديد عليهم، ولكن كان عليهم أن يصدقوا الأمر حين علموا من سيرتها ماعلموا.. أمها عابده وكذلك والدها وزكريا(عليه السلام) الذي كفلها وربّاها..هو كذلك، فكانت نموذجاً صالحاً في العباده والتوحيد والإعتكاف المتواصل أي كما وعدت بذلك أمها حين نذرتها للرحمن.. ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ [مريم:١٦]

فقبل أن يأتيها البشير كانت تفي بالنذر الذي قطعته أمها على نفسها حين وجهت مريم إلى هذه المهمه وهي التقوى والعباده وخدمة البيت.. تلك هي سيرة مريم في القرآن الكريم ولا أحد يشك في أمرها أو أمر أخبارها من المسلمين لأنها جاءت سيرتها وأخبارها في أقدس كتاب إسلامي وهي مكتوبه كما نزلت من الوحي الإلهي.. وعليه فإن الحقيقه الأولى للمسيح – ناصعة البياض في الإسلام، وهذا يمثل التربه الصالحه التي كانت تتهيأ لمجيء المسيح عيسى عليه السلام إلى بني اسرائيل..

وأما الزبد – الذي نراه قد علق بسيرة المسيح فيذهب جفاءً وهو من صنع المفترين عليه وعلى حياته والذين جعلوا منه الهاً مقدساً هو والرب في صف واحد حتى قالوا(المسيح ابن الله) كما قالوا من قبل.. عزير ابن الله.

وهو لايستنكف أن يكون عبداً لله كل ذلك وأكثر من ذلك سنراه من خلال الصفحات القادمه ونرى فيه سبباً للإنحراف عن الحقيقه الكبرى وهي معرفة الله مما يزيد الصراع بين الحق والباطل.. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون..

قصة زكرياعليه السلام

تلك قصة مريم، ومن قبلها، قصة امرأة عمران –أمها– وبينهما قصة زكريا مع ربه.. وهو الذي كفلها.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران:٣٨]

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٩]

والغريب في الأمر أن الطلب جاء بعد فوات الأوان وأسبابه غير متوفره بعد أن بلغ من الكبر عتيا..

وزوجته عاقراً، لا قدرة لها على الإنجاب، فالأمر – إن حدث فهو من قبيل الخوارق أوالمعجزات ويندرج ضمن آيات الله العظمى..

كل ذلك منصوص عليه في القرآن الكريم فلو هضم المسلمون حقوق المسيح أو المسيحيه لما كانت هذه الصوره الرائعه الناصعة البياض لكل ما يمت للمسيح وأمه بصله وقد وردت في أقدس كتاب..

فإمرأة عمران –أم مريم– كانت عاقراً وزوجها قد بلغ من الكبر عتياً ولاتتوفر عناصر وأسباب الإنجاب لديها.

وزكريا الذي كفل مريم -كانت زوجته عاقراً وزوجها قد بلغ من الكبرعتياً واشتعل راسه شيباً..

فأسباب الإنجاب بينهما أيضاً غير متوفره، مما أدى به إلى الإستغراب فقال:

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران:٤٠]

وكذلك مريم التي حملت بالمسيح هي الإخرى غير متزوجه.. وعليه فإن مجيء المسيح حسب نصوص القرآن بمثابة أيه ضمن آيه أخرى ثانيه واخرى ثالثه... في أمه وأمها وفي كافلها زكرياً..

إذاً، نرى أن الحقيقه بكاملها، قد جاءت بالنص القرآني ولا أعتقد أحداً كائناً من كان يستطيع أن يضع هذه الإيماءات أو القصص الإخباريه على مسؤوليته وبمثل ذلك الوضوح – إلا من هو عالم بالغيب وبقصص الأولين والآخرين وهذا من اختصاص خالق البشر جميعاً حتى ان الله يقول لنبيه محمد عليه السلام..

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران:٤٤]

قد نكون مبالغين في الأمر.. أو نتعصب لديننا، ولكن أمراً واحداً يؤكد ما نقول أن القرآن قدمضى عليه أربعة عشر قرناً وتعرض لعدة ظروف و أمم منهم الاعداء ومنهم الأصدقاء فلِمَ لم تُحَرف آيات القرآن كما حرفت في الكتب السماويه الاخرى..

كما هو في الأناجيل أو في نسخ التوراه بحيث اختلفت وتعددت النصوص فيها كما يذكر القرآن في نصوصه الواضحه..

يضاف الى ذلك التاكيد – تأكيد آخر، إذ ما دام الرسول محمد ابن عبد الله لم ينل قسطاً من العلم. فكيف له أن يضع هذه الأمور بمثل هذا الإتزان والصدق في التعبير والأخبار دون خلل أو فتور – في الآيات والسّور..

هذه الأمور ستتضح أكثر فأكثر من خلال هذه الدراسه ولكن الآن نعود الى ميلاد المسيح عليه السلام وظروف الحمل والميلاد وذلك من خلال نصوص القرآن الواضحه ..

****

قصة ميلاد المسيح

فالمسيح كما ذكرنا جاء ميلاده بمعجزه، كما جاءت معه معجزات وأما نحن هنا فبصدد ميلاده المعجزه وبداية ذلك كما يلي:

١- التعبد والإصطفاء:

﴿وإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

٢-البشاره:

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران:٤٥].

أما كيف حدث الأمر فهو كما ورد في النص التالى:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:١٧،١٦] .

فهو قد جاءها على هيئة انسان سوي الخلقه كامل الصورة ليكون قادراً على مواجهتها في حالة اندهاشها واستغرابها كما حدث : ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم:١٨]، فأجابها بكلام مفهوم معروف﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم:١٩] ..وتستمر في الإستفسار لأن الأمر

خارق للعادة: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [مريم: ٢٠].

فبيّن لها أن في ذلك آية للناس كمثل آية آدم وآية أمها وآية زكريا مع اختلاف نوع الآيات.. وهكذا بدأت المعجزه بحمل عيسى دون توفر الأسباب لذلك الحمل فمريم لم تتزوج بعد.. وهي لايمكن أن تكون امرأه بغيه أو تتعاطى البغاء سراً لأنها معروفه بالتقوى والعباده والإعتكاف، لذا قالت:

﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [مريم: ٢٠].

فأمور الحمل والولاده غير متوفره – طبيعياً – فهناك إذن خارقة أو معجزة حدثت كما حدثت من قبل بهذا الخصوص، وكان ذلك من إختصاص الخالق..

فالذي خلق آدم عليه السلام من تراب، قادر على أن يخلق عيسى عليه السلام، من غير أب، فذاك آدم خلق من تراب – أي جماد وهذا عيسى خلق من أحياء..

رغم أن ظروف الحمل والولادة لم تتوفر.. وكأني بالخالق يؤكد المعجزات ويكررها بين مرحلة زمنيه وأخرى – إلى أن اكتملت بنزول القرآن المعجزه الأبديه..

فاجتماع الرجل والمرأة، مقدمة للتكاثر، وإن كان ذلك أمراً علمياً بحتاً إلا أن المشيئه الإلهيه تتدخل أيضاً في هذا، فتجعل من اجتماعهما، انثى أو ذكر أو لاشيء –أي عقم– نعم هذا اختصاص رباني لا دخل للإنسان أو للعلم فيه..

فآيات الله في الأرض والإنسان عظيمه وكثيره فلايمكن أن تضعف إرادته عن خلق عيسى من غير أب، وهو الذي خلق آدم من تراب.. فالأمر ليس غريباً على خالق الكون برمته، فلا يجب أن يستغل هذا الأمر العجيب–على الإنسان

لصالح تأليه –عيسى عليه السلام أو تقديسه، لأنه فقط ولد من غير أب وكأنهم يقولون أنه ابن الله ((أو طفل الله))..

ثم لماذا نبعد كثيراً، إذ ما الفرق بين من لاينجب شيئاً أو هو بالطبيعة عقيم ومن ثم يرزق بولد وهو في التسعين من عمره أو مايقرب من ذلك..

كما حدث للنبي زكريا عليه السلام وزوجته.. أليست هذه معجزه أخرى!! وكذا – امرأة عمران التي هي الأخرى لم تنجب وهي في الظروف العاديه التي تؤهلها للحمل والولاده، ومن ثم لايحدث ذلك إلا بعد فوات الأوان– وكذا إبراهيم عليه السلام، وزوجته، حين بشرته بغلام عليم.. ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ [الحجر:٥٤،٥٥]

تلك معجزات.. وآيات الله العظمى في خلقه لعلهم يذكرون.. وكان الأجدى بأولئك، الذين إحتاروا في أمر المسيح بين مصدقين ومكذبين أو هم بين بين – أن يقرأوا تاريخ الرسل والأديان ويروا اضطراد السنن وثباتها سيّما مع الأنبياء..

فيتأكد لهم، صدق المسيح وأمه، لاكذبهما.. وحتى الذين صدّقوا منهم –غالوا في الأمر، وقالوا هو ابن الله فعبدوه، لذا أشركوا مع الله الهاً آخر وتلك قمة الوثنية والشرك..

فمن لايملك حقائق الاديان، لايستطيع أن يحكم على سلامة الأمور فأولئك لايمكنهم أن يبشروا بما لايملكون إذ ضعف الطالب والمطلوب ..

ومن ثم نسأل كيف كان وقع الخبر على أهل قومها، لنر كيف جرت الأمور.. جاء في النص القرآني في سورة مريم:

﴿ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴾ [مريم:٢٢،٢٣]

إذاً كانت السماء ترعاها وتنبتها نباتاً حسناً لتؤهلها للمخاض العظيم والأمر الذي سيقلب الدنيا كلها..

فمن البشاره جاءها الهدوء واليقين العظيمين – ومن قبلها تعودت الصلاح والتقوى والصبر، وخلال الحمل كان يرعاها الله ويحفظها من كل كرب.. حتى كيف تعمل حين المخاض، وكيف تأكل وكيف تشرب كل ذلك جاءها عبر الوحي والإلهام وألاتحزن ولتحافظ على هدوء حالها ونفسها – فكل شيء ميسر لها..

﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴾ [مريم:٢٤]

كما يوجهها كيف تأكل وتشرب :

﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ [مريم:٢٥]

وحتى صراعها مع أهل قومها – وهو الذي توقعته – كل ذلك كان يصلها تباعاً وكأن هناك وحياً يوحي إليها فيقول لها:

﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾ [مريم:٢٦].

وبعد أن ثبّتها، وتم لها الأمر على خير مايرام، من ناحية الحمل والولادة، وأخذت التعليمات لمواجهة القوم، بعد ذلك..

﴿ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴾ [مريم:٢٧]

براءة مريم

ومن يومها، تقابل مريم، بالنكران والجحود والتنصل منها مع ما كل ما لديها من الرصيد في الأدب والأخلاق والإيمان حتى استحقت وسام البطوله والصبر، فدخلت صفحات التاريخ من أبوابه الواسعه وسطرت سيرتها البريئه النقيه الطاهرة في آيات محكمه لا لبس فيها ولاغموض.. ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٤٢] .

ومن ثم جاءت براءة مريم عبر هذا النص القرآني: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم:١٢]

وقد أشارت الى ذلك من قبل وبالنص القراني أيضاً.. ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ [آل عمران:٤٧]

ولكن الإراده الإلهيه، ارادت ذلك وهي تقول للشيء كن فيكون..﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٤٧].

كل ذلك أدله واضحه على براءة مريم، جاءت بالنص القرآني في الوقت الذي تُحرّف فيه مثل هذه الحقائق في الكتب الأخرى.

إما للتطرف وجعل المسيح ابن الله أو للتفريط وجعل المسيح ابناً غير شرعي لمريم.. لو قرأ دعاة التبشير والإستشراق تلك الحقائق بجديه وحياد، لأدركوا قيمة الدين الإسلامي، فقدروه حق قدره.. ولكنهم يغضون الطرف عن ذلك فيأخذون ببعض القرآن ويكفرون ببعضه وهم الذين جعلوا القرآن عضين.. ونستمر

بتوضيح الأدله على براءة مريم وكذا سيرة المسيح من خلال النص القرآني- فها هو الصبي عيسى يشهد ببراءة أمه فيقول:

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم:٣٠-٣٢]

وعليه يمكن القول: إن هناك قضايا حيويه يمكن استخلاصها من هذه النصوص القرآنيه:

أولاً- المسيح عيسى هو ابن مريم وليس المسيح ابن الله- كما قالت النصارى أو بعضاً منهم.

ثانياً- المسيح عبد الله، وليس إلهاً، مقدساً.. وليس، أيضاًهو ثالث ثلاثة وهذا ولا شك هو الشرك بعينه..

ثالثاً- ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة:٧٥].

وهكذا هو رسول إلى بنى اسرائيل ليس إلا: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران:٤٩] .

صفات المسيح عليه السلام

الحق، إن قصة المسيح وسيرته، متداخله بقصة وسيرة أمه مريم، ابنة عمران. ولكن مالذي يجعل حقيقته في القرآن بريئه ناصعه واضحه وضوح الشمس، وهي غير ذلك حتى بين أهل قومه ولم هم ناصبوه كل هذا العداء، حتى يخيل اليهم أنهم صلبوه، وكأنه ابناً عاقاً أوابناً غير صالح، فلا نسمع من قصته عندهم، إلا الصلب والقتل ووضع الشبهات عليه منذ بدء حياته.. وحتى نهاية حياته أيضاً..

فصفات المسيح في القرآن ناصعة البياض- فهو مبارك، أينما كان.. براً بوالدته، ولم يك يوماً واحداً جباراً شقيا..

وهو فوق ذلك مقيم للصلاة، عابداً لله منفقاً في سبيله، فإن كان الإسلام بوجه عام، والقرآن بوجه خاص، يريد أن يناصب المسيح العداء، ويهضم له حقاً، أو يحرّف سمعته، فلم كل ذلك الوصف والتقدير لشخص المسيح..!!

أيمكن أن يدرج ذلك في سلم العداوات أو الحقد أو التشهير وهو الذي قال عنه:

﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران:٤٥]

لم هذا التطاول على أمة الإسلام وعلى كتابهم المقدس.. أيمكن أن يقابل ذلك التقدير، ووضعه وجيهاً في الدنيا والآخرة، ومن المقربين – بالنكران والحرب الشعواء على أمة الإسلام.. ومن هو الذي تطاول على شخص المسيح من بين المسلمين، حتى يتطاول أولئك السفهاء على نبينا محمد ﷺ الذي بشر بمجيئه،عيسى ابن مريم نفسه..

لم هم غير قادرين على فهم الأديان وتاريخ الأديان.. وإلا يداً سفيهه تُصَوّر لهم الأمور على غير حقيقتها، لتبقى النار مستعره بين المسلمين والمسيحيين، وهم كان الأحرى بهم أن يدخلوا في الإسلام زرافات ووحدانا حين علموا أن القرآن، والقرآن وحده قادر على إفهامهم حقائق دينهم ونبيّهم..

فحقيقة أمه مريم، كما علمنا من النص القرآني، أصفى من اللبن، وهي غير ذلك عندهم، وحقيقة المسيح عيسى ابن مريم – في القرآن – هي أيضاً أنقى وأطهر من ماء الزلال.. أيمكن بعد ذلك أن يقال أن الذي يدور بين الإسلام والمسيحية هو صراع أديان أو حقائق تصطرع وبعضها البعض..؟

الحق، أنا لاأرى إلا يداً إندست إلى التراث المسيحي الأصيل، وعبثت في طياته، حتى تاهت لديهم الحقيقه..

ولا بد أن ثغرة ما تشوه صورة الإسلام لديهم.. وإن لم يكن ذلك فيجب أن نبعد الأمور بأنه صراع أديان، وإنما هو صراع صليبي، مادي – سياسي مع الإسلام.. ولكن كان الدين جسراً لذلك، للعبور إلى مايريدون.. وسنعلم ذلك جيداً وحقيقته في مواضيع أخرى قادمه.

ولكن علينا، قبل أن نتوه أو نضل، تبيان حقيقة رسالته والمعجزات التي جاء بها، حتى يقنع أهل قومه بأنه رسول من الله إلى بني إسرائيل.. لاغير، وهم الذين كذّبوه من قبل في شخصه وشخص أمه، فكيف له أن يقنعهم بما يريد أن يقوله، هذا الأمر تتطلب معجزات أيده الله بها، تجري على يديه.. يستعملها فقط للمحاجة لديهم ولاتنتقل منه إلى أحد غيره.. إن في جيله أو الأجيال الأخرى..

رسالة المسيح

قيل أن المسيح، بعث وهوفي الثلاثين من عمره.. وكان جوهر دعوته التبشير بالروح وهجر الملاذ الضاله.[1] جاء ذلك في كتاب أحمد شلبي – مقارنة الأديان، المسيحيه وأما المعجزات التي وردت في القرآن الكريم على سبيل النص:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:٤٩]

تلك معجزات أربعه وردت في سورة آل عمران في الايه ٤٩.. أما المعجزه الأخرى، والتي وردت في سورة المائدة فهي التي كانت حاسمه.. حين حاجوه في رسالته وألحوا عليه، حتى الحواريين منهم: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة:١١٣،١١٢] .

وهكذا لما رأى الأمر بهذه الصوره من المحاجه الشديده وممن!! من قبل الحواريين، وهم المؤيدون الوحيدون لرسالته..

(١). المسيحيه/أحمد شلبي/ص٣٨

﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة:١١٥،١١٤].

وهكذا – من الآيات المذكوره يمكن أن ندرج معجزات المسيح التي أيده الله بها كالأتي:

المعجزه الأولى- خلق طيراً من الطين ..

أحدهم[1] قال أنه كان يعمل من الطين طيراً على شكل خفاش ثم ينفخ فيه فتسري في جسمه الحركه وتدب فيه الروح.. ومنهم من زاد في الوصف بحيث حدد كم متراً طار، وكيف!! ومنهم من قال أنه كان يجمع الصبيان ثم يخلق أمامهم من الطين طيراً فينفخ فيه فيصبح طيراً ذا حركه ونشاط..

والحق لاتهمنا كيف، ومتى.. المهم أن خلق الطير من الطين أساس وارد وبالنص القرآني، وهذا أمر ليس غريباً على إرادة الله وقدرته، فهناك العصى تحولت الى ثعبان تلقف مايأفك فرعون والسحرة الذين جمعهم.

وهناك إبراهيم عليه السلام حين سأل ربه كيف يحي الموتى ..

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٠]

(١). المسيحيه/أحمد شلبي/ ص٢١١ /عن المنار

ولكن المهم في الأمر- أن كل ذلك يتم بإذن الله، فها هو عيسى عليه السلام يقول: ((أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله)).. فالفعل هو انساني الشكل ولكنه إلهي الروح والإراده، ولا غرابة فعيسى مخلوق هو أيضاً بمعجزة.

كما ورد فيما سلف.. من هنا نود أن ننبه الى أن دراسة الأديان والأنبياء تحتاج الى علم وإيمان روحي – وقلبي، ولاتفسر بالعقل والمنطق أو العلم فقط.. فمنطق العلم مثلاً يقول ضرورة تزاوج الذكر والأنثى من أجل الإنجاب، ولكن منطق الإيمان بالقلب والروح يقول:

بإراده أخرى خفيه تتحكم بهذا الكون قد لايفهمها العلم بقدر ما تفهمها كتب الأديان الصحيحه سيّما القرآن..

فكيف لنا معرفة مولد المسيح من غير إيضاحات القرآن واشاراته، والقرآن لايخاطب العقل فقط.

ولكنه يخاطب جميع الحواس وعلى رأسها القلب الأمر الذي يجهله دعاة الصليبيه من المبشرين والمستشرقين حين أغلقوا قلوبهم عن حقيقة الله الكبرى.. في الأنفس والأفاق.

وهكذا لا بد من شحذ الحواس بتمامها وكمالها لفهم تاريخ الأديان والرسالات وقصص الأنبياء ومعجزاتهم وسيّر الأولين والأخرين..

والمعجزه الثانيه –إبراء الأكمه والأبرص

وهذه المعجزه تفلسف في أمرها الكثيرون ونحن هنا في هذه الدراسه لاتهمنا تلك الفلسفه في قليل أوكثير، المهم أن هذه المعجزه كانت من معجزات المسيح عليه السلام وقد ذكرت بالنص القرآني بحيث لا تحتاج للتأويل وهي من اختصاصه هو

لامن اختصاص المسيح أوالرهبان أو غيرهم الذين خلفوه من بعده.. فالمعجزات تأتي لظروف ومسببات وتنتهي بزوالهما لأنها غير خاضعه لقانون أو قاعده علميه دائمه فالذي يبقى آلي يخضع للناموس وقانون العقل والعلم اما المعجزات فهي من اختصاص المولى عز و جل ولا تعطى الإبإذنه ولأسباب وظروف معينه.. وأعتقد أن زمن المعجزات قد انقضى وما بقى فهو خاضع للناموس العلمي بعد أن تشكلت البشريه بشكلها الصحيح والقادره على الفهم والإدراك بعد تمام الرسالات بمعجزة القرآن.. فالمعجزات وسيّما الحسيه منها هي وقتيه التأثير تزول بزوال صاحبها أو وفاته وبزوال الظروف فمعجزة موسى– العصا..

انتهت ولاأحد يدّعي من بعده بقدرته على فعل ما فعل موسى عليه السلام بعصاه وكذا عيسى عليه السلام وغيره من الأنبياء عليهم السلام ..

أما المعجزه الثالثه:

فهي إحياء الموتى، فتلك المعجزه ظهرت واستعملت في زمن صاحبها ولظروف الرساله ذاتها، فأمرها قد انقضى ومابقي الإذكراها لعلهم يتذكرون، ولايستطيع أحد أن يدعي لنفسه ذلك الحق بأية صورة من الصورّ..

أما المعجزه الرابعه:

فقد جاءت بنص الاية: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران:٤٩] .

أي اخبارهم عن طعامهم سيّما المجهول منه والتنبؤ به مستقبلاً أو ما ادخروا منه.. وتتمة معجزات عيسى عليه السلام هي المائدة التي طلبها الحواريون –حتى يتأكدوا من صدقه.. وجاء ذلك في النص الآتي قال تعالى : ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة:١١٤]

وفعلاً نزلت مائدة من السماء وهو ما يعترف به أهل قومه حتى اليوم – الأمر الذي يؤكد عظمة الله وقدرته لاقدرة المسيح وعظمته.. وهذا يدخل في صميم رسالته وفحواها التي جاء بها وامتلك كل هذه المعجزات من أجل تحقيقها وسنعلم ذلك في موضوعنا التالي..

جوهر رسالة المسيح

ولكن ماالذي جاء به المسيح، حتى أيده الله بكل تلك المعجزات!! أو ما الذي جاء به المسيح حتى امتلك كل تلك المعجزات، أو ماهو الهدف الأساسي من رسالة المسيح..

فالمعجزه الأولى جاءت بمولده.. إذ كان ميلاده معجزه حقاً، ولكونها معجزه لايصدقها العقل – جاءت معجزه أخرى تفسيريه للأولى فكانت معجزة الكلام وهو في المهد – أي وهو صبي – فهذه كانت بمثابة شهادة براءه لأمه، ولكنها أيضاً بمثابة معجزه وإن لم تتكرر ولاشك أنها لتأييد رسالته، وأنه لم يأت بها من ذات نفسه وهو مؤيد من قوه أعلى من قوته..

وإذا أسلم الإنسان للحس الفطري وما يمتلك من الشعور الديني الفطري فإنه يستطيع الربط بين ذلك الذي أنطقه وبين خالق السماوات والأرض وهي الظاهره للعيان، وأن القادر على الأولى هو نفسه ولاشك قادر على الثانيه وهذا من اختصاص القادر الخالق ..

لذا كانت أُولى أهدافه – كما نرى – هي الدعوه للتوحيد الإلهي والتصديق لما بين يديه من التوراه كما يقول هو، ماجئت لأهدم الناموس ولكن جئت لأتمم الناموس، وهذا مانطق به القران في أكثر من آيه أنه ما جاء الا للتصديق بالرسالات وبالأخص رسالة التوراه، ومن ثم التبشير برسالة القرآن..

وأن مصدر ذلك كله هو الله – تعالى عما يشركون– فلا داعي إذن للشرك والإلحاد ..

ومن يؤمن بذلك – يدرك إدراكاً عاقلاً ماهية الأديان والرسالة الواحدة التي جاءت بها من حيث الهدف والوسيله، أما الأهداف فهي:

أولاً– الدعوه للتوحيد

وهكذا نرى أن الهدف الأول لرسالة عيسى عليه السلام هو نفس الهدف الذي جاء به محمد عليه السلام، وهو أيضاً هدف التوراه الصحيحه، لاغرابة فالمرسل واحداً وإن تعدد الرسل ..

وهو الذي أدركه النجاشي ساعة سماعه رسالة محمد عليه السلام وهو المتعمق برسالة عيسى عليه السلام فقال:

((إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحده)) ودعوة المسيح التوحيديه جاءت بالنص المطلق في القرآن كما نرى:

﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة:٧٢] . وعليه فهو عبد لله جاء برسالة محدده عليه تبليغها.

فيقول﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾[المائدة:١١٧].

إذاً القضيه الأساسيه في حياة المسيح – كانت الدعوه للإسلام وليس لأي دين آخر، وهذا أمر حسمه القرآن في الآية :

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٥٢].

إذاً التسميه الحقيقيه لأتباع المسيح أو الحواريون الذين ساندوه ونصروه هي أنهم مسلمون.. وهذا اعتراف حقيقي لامجال لتكذيبه ولوأمكن تحريفه وتكذيبه لتم فيما مضى ونحن مستضعفين ويملكنا الإستعمار من أصغر شيء فينا الى أكبر شيء..

ولكن الله حفظه من التحريف أو التبديل.. ليكون أبداً مستند صدق يحسم قضايا الغيب وأخبار الديانات وقصص الأولين وهي التي تغيب عن الناس ولاتغيب عن خالقهم، وهكذا كان..

فالقضيه الأساسيه مع أهل العلم من الذين أتوا الكتاب ولم يتعصبوا لدينهم كانت سهله، فكم مؤمن بالمسيحيه انضوى تحت لواء الإسلام وأصبح من المنافحين عن مبادئه مثله مثل الحوارين من أنصار المسيح الذين قالوا اشهد بأنا مسلمون وها هي آيه أخرى توضح ذلك.. ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴾ [المائدة:١١١] .

ولكن قضية التوحيد الإلهي – كان قد جاء بها موسى عليه السلام فلا يمكن أن يكون عيسى قد جاء بقضية واحده والبشريه قطعت شوطاً بعيداً على درب التوحيد الإلهي.. من إبراهيم إلى يعقوب ويوسف ومن قبلهم نوح وهود وصالح..الخ

فلابد أن في الأمر قضايا اخرى جاء بها أو للتذكير بها، وأن هناك ظروفاً أخرى اقتضت مجيء نبي مثل عيسى للتذكير بما ذكّر به موسى وهو الذي جاء أيضاً لبني اسرائيل.. والمعروف من الظروف البيئيه التي كانت تسود تلك الفتره وأهلها هي ظروف مغرقه في الوثنيه الماديه وحب الشهوات والتمادي في أكل أموال الناس واستغلالهم بالربا وغيره والتطفيف وخسران الميزان..

وكل ذلك قضايا أساسيه في الرسالات السماويه، كما هو معروف في رسالة شعيب في الميزان والتطفيف.. وكذا مع غيره من الأنبياء...

ثانياً- العمل الصالح

والقضيه الثانية.. التي جاء المسيح من أجلها، هي الدعوه للأعمال الصالحات، وهذه مرتبطه ارتباطاً وثيقاً بالتوحيد الإلهي المطلق إذ أن الوثنيه الماديه واتباع الشهوات وترك الأعمال الصالحات كانت ظواهر أساسية في النظم الوثنية قال تعالى: وهوالعالم بأخبار الأولين.

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩].

وهكذا كان المسيح من يومه، لابل.. من بطن أمه روحياً في حياته وفي دعوته، وقد نبه قومه إلى مساوىء التمادي في الغي المادي واتباع الشهوات ودعا للزهد والتواضع واتباع الصلوات والإنفاق في سبيل الله، ورفع الظلم عن المظلومين ..

وهذا أيضاً مادعا إليه الإسلام.. وما جاء من أجله الرسول محمد بن عبد الله، لا غرو فدعوته ودعوة الإسلام يصدران من سراج واحد.. وهكذا، يمكن أن نلخّص

الأعمال الصالحات التي يدعو إليها المسيح تحت بنود رئيسيه محدده وإن تفرعت إلى تفاصيل وتفاريع وأعمال ثانويه..

إلا أنها تنصب على الأطر والقواعد أو المبادىء الإسلاميه الآتيه. العبادات، المعاملات، والأعمال الصالحه وسنناقش كل منها بنوع من التفصيل..

أولاً- في العبادات

دعا إلى الخلوص في العباده، لله وحده ولا أحد غيره كما أوردنا سابقاً في القضيه التوحيديه والعباده، أنواع -الصلاه والزكاه ..الخ

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

وقبلها في نفس الآيه تقريباً أو الآيه التي قبلها : ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم:٣٠] .

فالإيمان كما نرى يستتبع العباده والخلوص لله تعالى وحده وكما رأينا كانت الصلاة أساس العبادات لديه أو هي عماد الدين فهي مظهر من مظاهر الخشوع لله.

تأت بعد الإعتراف بالقلب والإقرار باللسان، بأن الله وحده هو المعبود وهذا هو ما جاء به الإسلام فأي فرق بين ماجاء به محمد بن عبدالله، وما جاء به عيسى بن مريم ..

فإن كان من فرق.. فهو التمام والكمال لكل الرسالات - جاء برسالة محمد القرآنيه، فهي الكل والتوراه والإنجيل أجزاء ولا يوجد تناقض واحد بينهما - طبعاً التوراه الصحيحه والإنجيل الصحيح الذي نوّه عنهما القرآن.

والعبادات التي جاءت في الإسلام كانت أكثر تفصيلاً منها في التوراه والإنجيل حيث جاءت رسالة القرآن بالصوم والصلاه والزكاه والحج وبداية ذلك الشهادتين.. ولكن الأساس واحد والعباده لإله واحد..

ثانياً- المعاملات والأعمال الصالحه

فأول قضيه ناقشتها رسالة المسيح هي قضية المرأه التي كانت مظلومه ومقهوره في العهود التي سبقته أو بين القوم الذين جاءهم فأول ما أوصى الا ببر الوالدين وهي نفس القضيه التي جاءت بها رسالة محمد.. ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ [الإسراء:٢٣].

فالعباده كانت أولاً.. وبر الوالدين ثانياً هذا ترتيب الأولويات في الرساله القرآنيه.. أما في رسالة المسيح فيقول المولى عز وجل على لسانه.. ﴿ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ [مريم: ٣٠] ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم:٣٢] .

فالأمر أكثر من واضح، إذ ما دام المسيح لايملك من الوالدين إلا الأم فقد جاء البر، هنا خاصاً بوالدته، ليؤكد بنفس الوقت قضية براءة أمه وأنه مولود من غير أب.. ويدخل ضمن بند المعاملات والإحسان للناس والتودد اليهم باللين واللطف والأخذ بيد الضعفاء والفقراء منهم.

وذلك الأمر من أكبر وأول اختصاصات رسول الإسلام محمد بن عبد الله وهو الذي جاء فقيراً - يتيماً لاحول له ولاطول، بذا عرف كيف يوصل الحقوق

والمعروف للفقراء والمحتاجين والمساكين والضعفاء وهي المراحل التي مر بها قبل أن يصير نبيا..

ثالثاً- العدل في الحكم

أما القضيه الأخرى، بعد الدعوه للأعمال الصالحه وبعد قضية التوحيد الأولى التي ناقشناها في بداية هذا الموضوع فهي قضية الحكم والعدل فيه وقد جاء ذلك في التوراه والإنجيل بنصوص قرآنيه واضحه وجهت للرسول محمد بن عبد الله، حين طلبوا منه أن يحكم بينهم ..

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٤٣] .

وليؤكد على حقيقة التوراه الصحيحه وقربها هي والإنجيل من الإسلام يقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ [المائدة:٤٤] .. وأما الآيه الشامله لذلك فهى:

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ [المائدة:٤٦].

فإن كانوا يبغون الحكم، الحكم العادل.. والقول الحق فهو موجود لديهم ..

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧].

لو فعلوا ذلك.. وعلى أساس من الإنجيل الصحيح لوجدوا أنفسهم والمسلمين في مرتبة واحده ومن ثم اختاروا الإسلام شريعة لهم، فهو شامل لكل أحكام التوراه والإنجيل وهومبرأ عن التحريف والتبديل وهذا عهد من الله..

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

فذلك هو الحكم الإلهي ((أفحكم الجاهليه يبغون)).. فالله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى والمساكين وابن السبيل..الخ

الموقف من رسالة المسيح

أولاً_ من الأتباع:

وهكذا فهمنا فهماً صحيحاً، ومن كتاب لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه -حقيقة المسيح، وحقيقة رسالة المسيح فكانت حقيقة المسيح ورسالته في القرآن، ناصعة البياض..

كيف لا وهي توطئة لمسيرة الإسلام ومجيء القرآن وكان تبشيراً برسول يأتي من بعد عيسى اسمه أحمد ((محمد ﷺ))..

وقبل ذلك رأينا، كيف كانت حياته – مع أهله وذويه وأهل بيته وأخص بالذكر هنا أمه.. كيف كان باراً بها.. وأخلاقه وكرمه، كل ذلك استحق عليه الذكر بآيات ونصوص قرآنيه لاتزول مادامت الحياه.. إنها شهادة تقدير من المولى عز وجل لهذا الإنسان، والنبي العابد المخلص في عبادته لله، كان حامداً شاكراً لأنعم الله، لم يفكر قط بملىء معدته، جل همه كان ملىء روحه وقلبه بالإيمان..

تلك حقيقة المسيح برزت واضحه في القرآن الكريم.. وبعد ذلك يقال أن الإسلام هضم حق المسيح.. لا أعتقد أن عاقلاً واحداً يقرأ تلك النصوص، يمكن أن يتهم القرآن بالتحيز والإسلام بالتطاول على شخص ا لمسيح.. وحتى رسالته التي جاءت في الإنجيل – والتي ابرزناها بنصوص قرآنيه، كانت هي توطئه لمبادىء الإسلام وتصديقاً له كما هو مصدقاً لما بين يديه من التوراه والإنجيل ..

فلا حق المسيح مهضوم ولارسالته مهضومه، في النصوص المعترف بها في الإسلام.. أما إن تطاول أحدهم عليه، فهو تطاول شخصي لايعبر إلا عن رأي صاحبه.. ومثل ذلك حدث في الدين المسيحي من أتباعه، وحدث مثله في الدين الإسلامي ومن أتباعه أيضاً.. الفرق أن التطاول والتحريف إن حصل.. له تأثيره على التوراه والإنجيل، أما القرآن فلا أحد قادر على ذلك، فذلك وعد من الله.. لأنه يقول عنه إن فيه قول الفصل لكل الأمم والأديان ولأخبار الأمم والأولين..

ولكن مادام الامر كذلك، من اليقين والوضوح بخصوص الإنجيل الذي نحن بصدده أو رسالة المسيح المنصوص عليها في القرآن، نعم مادام الأمر كذلك فما هي الإنحرافات والأباطيل التي دخلت رسالة المسيح المعترف بها من السماء ..

وكيف حدث ذلك الزيف والأباطيل!! وإن كان القرآن جامع للأخبار والقصص، أليس الأجدر به أن يذكر ماحدث من انحرافات في الرسالات المذكوره..

كل ذلك حدث ومنصوص عليه في القرآن الكريم بنصوص واضحه لتبيان قصة الذي حدث في الإنجيل من تحريف أو تبديل، وكيف حدث!! وما الهدف من ذلك التحريف.. وهل كان لذلك التحريف أثر على إذكاء الفتنه بين المسلمين والمسيحيين.. كل ذلك سنأتي عليه في الصفحات القادمه:

كان الإنحراف الأول هو في المبدأ الأول لرسالة المسيح وهو:

١-التوحيد المطلق والإيمان بإله واحد، لاشريك له.. والتحريف الذي حصل هو الشرك بالله وأما الشركاء فهم:

المسيح نفسه وهذا بسبب المغالاه في حب المسيح - الأمر الذي قالوا عنه شتى الأقاويل، من أجل تقديسه وتقديره.. حتى أصبح شأنهم وشأن الذين يعبدون الأوثان سواء فاستبدلوا الله وعبادته وتقديسه بعبادة المسيح أو تقديس المسيح، وهو لفرط حبهم له:

﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٠]

٢-تقديس أمه مريم: وهذا منصوص عليه أيضاً بالقرآن لتبرئة ساحة عيسى مما يفترون.. ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

أما اعترافه فهو يقول:

﴿ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١١٦].

٣- تقديس الرهبان من بعد المسيح أو الأحبار، إذ تأصلت فيهم الوثنيه وعبادة الأشخاص، كان الأول المسيح.

ومن ثم بحثوا عن شخص تتقمص فيه شخصية المسيح فكان البديل الراهب أو البابا - وهو الإنسان الممثل الشخصي للرب على الأرض بدلاً من المسيح.. لذا

هو السيد المطاع، وهو الذي يمنح صكوك الغفران لأنه الواسطه إذ لاسبيل إلى الله عندهم إلا بواسطه، وهذا هو الوسيط وهو مذكور عليه آيات في القرآن وبالنص..

﴿ اتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

وهكذا اتضحت حيثيات القضيه فبان المسيح على حقيقته في القرآن من طهر وتقدير..

وذاك هو التزييف، الذي حصل من أحباء المسيح والذين هم قدسّوه، فتارة هو الرب الحقيقي وتارة هو المتقمص لله في شخص المسيح والثالثه هو ابن الله – كما رأينا فيما سلف وهذا الخلط والشرك بالله استتبع معطيات كثيره وحقائق مشوهه عن الأديان الأخرى، مما أدى بادىء ذى بدء إلى تقديس المسيح وإنكار ماعداه والإيمان به وتقديسه والكفر بما جاء به الرسول (محمد ﷺ)..

وكلها قياسات ماديه مصلحيه لا تصل الى حقائق الأمور وجذورها وهذا قصور في فهم الرسالات السماويه..

وأخذ انطباعات خاطئه عن الخالق لأن التراث الذي نهلوا منه فيه تغيير وتبديل يخدم المصالح والأهواء والتيارات السياسيه لاغير..

ولاغرو فالحقيقه الكبرى – حقيقة الله، تجسمت في شخوص إنسانيه تدركها الأبصار، وكأن الملكوت السماوي انتقل بنزول المسيح أو بمجيئه، إلى الأرض..

من هنا يجب أن نتوقف طويلاً عند هذا التغيير وهذا التحريف للحقائق وهي التي فعلت فعلها في الصراع الإسلامي المسيحي حتي لكأني بهم يصوّرون الله

بصيغه مقبوله لديهم ولكنها غير مقبوله للأخرين فكان الإله - إلههم والملكوت السماوي هم رؤساؤه، كيف ل اوهم أتباع المسيح والمسيح هو الرب :

((سبحانه وتعالى عما يشركون)) وقد قال لهم ألف مره ومره أنه لايزيد عن عبدٌ لله، الواحد القهار وأمه صديقه تأكل كما يأكلون وتشرب كما يشربون وهو وأمه سواء..

إذا كان ذلك من أحباء المسيح والمؤمنين برسالته فما الذي حصل من أعداء المسيح ،هذا ما سنراه في الموضوع التالي..

ثانياً - من الأعداء:

القضيه الأولى، كانت متعلقه بميلاد المسيح وبراءة مريم فالذين افتروا على أمه بالكذب والبهتان والقول الزور وطعنوها في شرفها كُثر.. وهي من ذلك براء بشهادة السماء..

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٥٦]

والذي يتهم شخصاً ما - وفي أعز ما يملك لابد أن يُحرّف ويضلل من حوله ليُصدّقوه فيما يقول لذا دار اللغط حول المسيح وأمه ومن الذين كفروا به وكذبوا برسالته وهؤلاء اتخذوا الجانب العدائي من رسالة المسيح.. وإن كان عداؤهم واضحاً وجلياً إلا أن الإفتراءات حول رسالة المسيح وما جاء به أخذت عدة أشكال واتجاهات..

فالتي لم تنفع في دحض رسالة المسيح اتجهوا إلى فرية أخرى لعلهم .. ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:٨] .

وهؤلا الذين ناصبوه العداء: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١٥٧] .

وهم من بني إسرائيل أو غيرهم قالوا عنه شتى الأقاويل كما يخبرنا به القرآن.. وهذه جرأه لامثيل لها، إلا أن القرآن يذكر غير ذلك.. فيقول تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧]. ومن ثم اختلفوا بينهم، بين مصدق ومكذب فاتبعوا الظن وإن الظن لايغني من الحق شيئاً..

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء:١٥٧] .

وهذا الشك أحدث اضطراباً في الإعتقاد، بين أهل الكتاب فالتمس البعض المبررات لموت الرب ودار حول ذلك لغط كبير وتفسيرات كثيره كيف لا، والحقيقه عندهم غير واضحه..

فمنهم من قال بعقيدة الصلب وآمن بها كي يبرر الذي سمع به أو رآه أمام عينيه – وهذا أيضاً أحدث اضطراباً في العقيده وأسسها لابل أتى عليها من القواعد..

فالله حي لا يموت فكيف يموت ويصلب المسيح، إذ كيف يكون الرب بمثل هذا العجز غير القادر حتى الدفاع عن نفسه.

فما بالك بنصرة المستضعفين في الأرض.. وأصبح القوم حتى يومنا هذا يفسرون ذلك كما يحلوا لهم..

أما فأحيلهم إلى القرآن العظيم ليختصروا الزمن فيعرفوا الحقيقه التي ضاعت وكان لضياعها أثرٌ عظيم على الأمم والشعوب والأفراد.. نحن هنا نورد رأي القرآن في المسيح، وأن المسيح لم يقتل ولكن الله رفعه اليه ليطهره من الذين كفروا وهذا جاء بالنص الآتي:

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران:٥٥].

نهاية المسيح

نعلم أنه قد حدث لغط كبير حول وفاته أو رفعه كما سنرى:

نعم كما يظهر من الآيه السابقة أو غيرها، حدث اختلافات كثيرة حول مصير المسيح الحقيقي إن كان قد مات على الأرض ودفن فيها أو رفع إلى السماء بروحه وجسده ساعة الهجوم عليه للقبض عليه ومن ثم صلبه.. وما لنا من حيله هنا بعد أن حصل الإختلاف في التفاسير إلا أن نعرض بعضاً منها ومن ثم نعرض في نهاية المطاف لرأينا في الموضوع.

ونبدأ بتفسير المنار يقول محمد رشيد رضا في هذا التفسير عن الآية(٥٥) آل عمران المذكورة سابقاً ما يلي:[١]

روي عن ابن عباس أن تفسيز التوفي هنا بالإماته كما هو الظاهر.. وعن ابن جريج – تفسيرها بأصل معناها وهو الأخذ والقبض والمراد منه ومن الرفع انقاذه من الذين كفروا.. وقال ابن جرير بسنده عن ابن جريج.. فرفعه إياه – توفيه إياه وتطهيره من الذين كفروا..

(١). تفسير المنار/جزء٦

أي ليس المراد الرفع إلى السماء لا بالروح ولا بالجسد ولا بالروح فقط..

والمشهور بين المفسرين: وغيرهم أن الله تعالى رفعه بروحه وجسده إلى السماء واستدلالهم على ذلك بحديث المعراج الذي رأى فيه النبي (ﷺ)..

عيسى ابن مريم وابن خالته يحيى في السماء الثانيه ويستمر فيقول، ولو كان هذا يدل على أنه رفع بروحه وجسده إلى السماء لدل على رفع يحيى وسائر من رآهم من الأنبياء في سائر السماوات.. ولم يقل بهذا أحد.

أما الإمام الرازي فيقول في قوله تعالى: (**إني متوفيك..**) أي منهي أجلك ورافعك إلى أي رافع مرتبتك، ورافع روحك إلي ومطهرك، ومخرجك من بين الذين كفروا)[1].

أما الشيخ شلتوت، شيخ الجامع الأزهر سابقاً فيقول إن كلمة التوفي تعني في القرآن – الموت، حتى صار هذا المعنى.. هو الغالب عليها.. ويقول الألوسي في روح المعاني عن (إني متوفيك) أي إني مستوفي أجلك ومميتك موتاً طبيعياً أما الرفع بعد الوفاه، فهورفع المكانه لارفع الجسد..

أما ابن حزم فيقول في الأهواء والملل والنحل – وهو يتحدث عن المسيحيه، إن الوفاه تعني الموت الحقيقي، وهو يقر بعودة المسيح ثانية.. وهكذا نرى أن مجموعه كبيره من المفكرين..

ترى أن المسيح قد مات ميتةً طبيعية شأنه شأن أي إنسان مات، أو أي نبي وهو كمثلهم وقال مثل ذلك الإستاذ محمد أبو زهرة والشيخ المراغي..إلخ[2].

---

(١). المسيحيه/ص٥١

(٢). المسيحيه / ص٥١-٥٢

ومن هذا يقرر أحمد شلبي في كتابه المسيحيه ما يلي:

إن القول بأن عيسى قد رفع بجسمه وروحه هو إعتقاد متأثر بالإتجاه المادي في الإنسان ومتأثر كذلك بالفكر المسيحي الذي يرى أن عيسى عليه السلام هو الإله الإبن نزل من السماء ثم رفع ليعود للجلوس بجوار أبيه الإله – الأب..إلخ(١).

ويستطرد فيقول: أما المسلمون الذين يعتقدون أن الله واحد وأنه في كل مكان وليس جسماً فكيف يوفقون بين هذا وبين رفع عيسى، ليكون مع الله..

..فالله في كل مكان، ولو بقي عيسى على الأرض لكان مع الله أيضاً وكيف يوفقون بين هذا وبين قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء:٣٤].

ولا بأس ان أضع رأياً حول الموضوع أو هذه القضية المهمة:

١. إن الإنسان أي إنسان لابد أن يخضع لظاهرتي الموت والحياة ومن دونهما لاتتم له الحياه على الأرض- إلا أن أمثلة للوفاة قد تظهر ولكن الى حين مؤقت.

ومثل ذلك النوم والإغماء – فقدان الوعي والحركة لبعض الوقت والموت أيضاً قد يتم بعدة أسباب، بالقتل أو بالمرض.. أو بدون ذلك فقد يموت الإنسان أو الحيوان وهو واقف ودونما سبب ظاهر وصدق الشاعر وهويقول:

من لم يمت بالسيف مات بغيره   تعددت الأسباب والموت واحد

وهكذا فالموت الحقيقي واحد، وهو الموت الذي يدوم أجله فلا يرى بعدها الميت ولا يأكل ولا يشرب ولا يمشي.. وكما قلنا هذا الموت لابد أن يمر به كل

(١) المسيحيه/ أحمد شلبي/ ص ٥٨

كائن حي.. حتى ولو بعد ألف سنة من العمر وهو ما يسمى بأرذل العمر كما حدث لنوح الذي عاش أكثر من ألف عام..

وكذا الحياة فإنها بداية الشيء على الأرض أو بداية الكائن الحي على الأرض – وهي تأذن ببداية حركته ومشيه وسمعه وإبصاره وإدراكه وأكله وشربه.. ولكن الحياة تخضع لنظام ثابت وهو التزاوج بين الزوجين الذكر والأنثى، وبدونهما لاتتم عملية التكاثر اللهم إلا في حالة الإستثناءات.. ومثلها– أن آدم جاء من غير الزوجين الذكر والأنثى وحواء جاءت من غير الأنثى فهي كما يقال خلقت عن طريق آدم .. (وجعل من أنفسكم أزواجاً)..

وعيسى جاء من غير أب– أي مثله مثل آدم خلق من تراب، وليس المقصود هو الطريقة التي جاء بها آدم وإنما بمعجزة كمعجزة آدم الذي جاء من تراب، بادىء ذي بدء.. وعليه يمكن القول:

مادام خلق عيسى جاء بمعجزة، فَلِمَ لم تكن وفاته أيضاً تمت بمعجزة سماوية أخرى أو لنقل نهايته بمعجزة سماوية..

٢. إن كلمة الوفاة التي وردت في الآيات قد تعني معاني غير الموت الحقيقي ومثل ذلك ورد عن النوم، أو الإنتهاء من الأرض، وهذا لا يتعارض مع الرفع لأن الرفع معناه أيضاً إنتهاء الحياة الأرضية وقال الحسن عن الوفاة – إنها وفاة منام..

٣. ثم إن الآية تقول: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [آل عمران:٥٥].

إن إنتهاء عيسى من الأرض واختفائه عن أنظار البشر قد تعني النوم أولاً.. أما الرفع فهو المرحله الثانية.

والتطهير هو الخلاص من الذين كفروا.. وعملية الرفع هنا هي المرجحة لأن معنى الوفاة الحقيقية لا تحتاج كلمة الرفع والتطهير فكان من الممكن أن يقتل بعد صلبه فيموت شهيداً ثم يخضع للآية التي تقول:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] .

ساعتها تكون الوفاة قد تمت بطريقة عادية، مثله مثل يحيى الذي قتل.. ولكن كلمة الرفع هنا تعني رفعه إلى السماء ساعة محاولة القبض عليه، لصلبه.. ولكن كيف كانت عملية الرفع، وماهي المرحلة التي سبقت الرفع، وكيف غاب عن الأعين..

فهذه قد يكون فيها لغز الوفاة ولكن بطريقة إعجازية كما حصل في ميلاده الإعجازي، فمعجزة آدم عليه السلام معروفة إذ مادام الله جاعل في الأرض خليفة، فلابد أن يكون خلق آدم أولاً.. لا تهم الطريقة ومن ثم خلق حواء..

أما خلق عيسى عليه السلام من أنثى وبغير ذكر فهذه معجزة عظمى، والذي هو قادر عليها، لاشك أنه قادرعلى رفع عيسى بمعجزة أخرى وإن كان قبل الرفع قد حصل شيئاً ما. من وفاة عادية أو غير عادية أو إنتهاء عادي أوغير عادي..

وبقي أن نقول أن القتل لم يحدث والصلب لم يحدث أيضاً ولكنه شبه لهم وكأن شيئاً ما حصل خلال هذه المحاولة ليتمكن عيسى من الولوج إلى السماء أو أنه وهو مرفوع إلى السماء بإذن الله قد أخذ شكلاً آخر لايراه الناس ومن ثم إن حصلت الوفاة الحقيقية.. فلِمَ لم تظهر آثار تلك الوفاة بين مريديه وأتباعه بعد كل هذه السنين من اختفاء عيسى وانتهائه.

ومن ثم لو حصلت الوفاه بالقتل والصلب ألا يمكن أن يكون مطهراً مخلصاً من الذين كفروا كيف لا وهو من النبيين والشهداء والصالحين وهم الأحياء عند ربهم ومن المطهرين..

أما إن كان النصارى هم المستفيدون من ذلك أو غير المستفيدين فهذا أمر آخر لايجوز أن يقحم في حقائق ثابته..

لأنه قد يحسب من باب التعصب الديني فالأمور لابد أن تؤخذ على حقيقتها لا تؤخذ بالظن، لأن الظن لايغني من الحق شيئاً، والحق أحق أن يتبع، فلايمكن أن نأخذ بكلمة متوفيك على أنها الوفاة الحقيقية، تحرزاً من مطامع النصارى وتعزيز عقائدهم.. على أن نأخذ بكلمة الرفع هذه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٨،١٥٧].

قال ابن جرير عن مجاهد: رفع الله عز وجل – عيسى إلى السماء حياً.. والدلائل إلى هذه الآية التي تعني الرفع، كثيرة سقناها فيما سلف يضاف إلى ذلك، أن كلمة الوفاة تعني الإختفاء أو الإنتهاء أو النوم أو الإنحجاب عن الناس، وهذه بعض الآيات قد تساعد على فهم بعض هذه المعاني، قال تعالى في محكم آياته:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ [الأنعام:٦٠].

يقال أن كلمة – يتوفاكم هنا تعني قبض الروح في النوم وهذا ماورد في تفسير الجلالين وكذا يقول القرطبي: ليس ذلك موتاً حقيقةً بل هو قبض الأرواح. أما في الآية الآتية وهي الآية ٤٢ من سورة الزمر فقد تعني كلمة (يتوفى) نفس المعنى

(النوم) قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر:٤٢].

وهكذا يكون الموت واحد ولكن الوفاة ليست واحدة بل هي قد تكون في الموت الحقيقي وقد تكون في المنام.. وكأنه يقول:

(الله يتوفى الأنفس حين موتها.. والتي لم تمت يتوفاها الله في منامها..) وهكذا نخلص إلى إستنتاج مفاده..

أن القاعدة الأساسية في الموت – أن كل حي ميت كما هو في الآية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠] .

وأن كل حي لابد من زوجين اثنين – الذكر والأنثى.. وما دامت تلك قواعد أساسية في الموت والحياة فإن عليها استثناءات، فكان عيسى عليه السلام استثناءاً.. من قاعدة الزوجين الذكر والأنثى، إذ جاء من أنثى فقط.. وعليه يمكن أن يكون استثناءاً عند وفاته. إذ قال المولى عز وجل: (وما قتلوه) – (بل رفعه الله اليه).. وهكذا تتضح الآيات، وتتقشع الضبابيه عن إنتهاء المسيح وطريقة إنتهائه من فوق الأرض، وهو لم يقتل، ولم يصلب ولم يمت بل رفعه الله إليه لأنه لو لم يقصد الرفع المعروف، بل هوالتكريم، لما كان مدعاة لهذا النص الواضح لأنه نبي ومطهر ومكرم شأنه شأن الأنبياء مهما كانت طريقة وفاته، بالسيف أو بالصلب أو بالقتل.. ومثل ذلك حصل مع النبي يحيى، كما ذكرنا سابقاً..

أما الآن فتبقى قضية النزول، هل هي واردة أم غير واردة ولنستعين ببعض النصوص القرآنية أو بالأحاديث الصحيحة فنقول:

عودة المسيح الى الأرض

قال تعالى في محكم آياته: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف:٦١] .

وكان الحديث أولاً عن بن مريم والآيات هذه تؤكد حقيقته فيقول تعالى في محكم آياته. وفي مكان آخر من نفس السوره..

﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف:٥٧].

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزخرف:٥٨-٦٠].

وبعد ذلك جاءت الآية التي نحن بصددها رقم ٦١.. والتي توضح أنه شرط من أشراط الساعة لابد من نزوله قبل حدوثها.. قال رسول الله ﷺ عن هذا الموضوع..

(والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حاكماً عادلاً مقسطاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير..) هذا الحديث ورد في البخاري ومسلم.. أما الآية الآتية:

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٩].

وأظن الإيمان هنا – يعني النزول مرة ثانية ليؤكد حديث الرسول فيعدل بين الناس ويتأكد ساعتها أهل الكتاب من صدق رسالته فيؤمنون بصدقها وإيمانهم قد يكون كإيمان فرعون.. بعد فوات الأوان كما يقول أحدهم(١).

وهكذا رأينا بحق وحقيقه كيف عالج القرآن وبنصوص واضحه حقيقة المسيح ورسالته..

---

(١) انظر/في ظلال القرآن /ج٦/ص١٤/سيد قطب

الفصل الثاني
حقيقة المسيح في الاناجيل

أماحقيقة المسيح والمسيحية، في الأناجيل فهي مختلفة بإختلاف مصادرها وأصحابها ودوافع مؤلفيها أو ناقليها، إذ لم تسلم مسألة واحدة تتعلق بالمسيح وسيرته من الوجود إلى الرسالة إلى المعجزات إلا وقد إكتنفها التشويه أو الحيرة أو الإضطراب أو الشك.. فها هي حتى مسألة وجود المسيح نفسه تتعرض وما زالت من المفكرين للشك والإختلاف وهذا واضح من مصادرهم ..

(فيقول بولنجيرك والملتفون حوله من أن المسيح قد لايكون له وجود على الإطلاق)، وجهر فلني بهذا الشك في كتابه خرائب الإمبراطورية الذي نشره عام ١٧٩١م، هذا الكلام منقول، بالحرف عن قصة الحضاره لكاتبها.. و.ل ديورانت، ومترجمها محمد بدران[١]. وفي مكان آخر من قصة الحضاره يقول و.ل ديورانت..

يرى برونوبور: (أن يسوع لايعدو أن يكون أسطورة من الأساطير).. كما أنكرت المدرسة الهولندية – مدرسة بيرسن ونابر ومنثاس وبعد بحوث مضنية حقيقة المسيح التاريخية.. وفي انجلترا أدلى w.b.smth بحجج لإنكار وجود المسيح.. أما بخصوص[٢] الأتباع..

فقد.. أشار هيردر إلى مابين مسيح متي ومرقس ولوقا ومسيح يوحنا من فوارق لا يمكن التوفيق بينهما..[٣]

---

(١). قصة الحضاره و.ل. ج١١ ص٢٠٢ .

(٢). المصدر السابق ج١١ ص٢٠٤.

(٣). المصدر نفسه ج١١ ص ٢٠٣.

أماهنريخ بولس فيعرض – وهو يلخص حياة المسيح – تفسيراً عقلياً للمعجزات، أي أنه آمن بوقوعها ولكنه عزاها إلى علل وقوى طبيعية.. ورفض دافد استروس، في كتابه عن حياة المسيح[1].

محاولة بولس، التوفيق بين المعجزات والعلل الطبيعية وعزا ما في الأناجيل إلى الأساطير الخرافية وأن حقيقة المسيح يجب إعادة كتابتها لحذف تلك العناصر أياً كانت صورها..

يقول و.ل ديورانت في كتابه قصة الحضاره: أما الأدلة على وجود المسيح فتبدأ بالرسائل المعزوة إلى القديس بولس.. ويستدرك فيقول: وبعض هذه الرسائل لا يُعرف كاتبها معرفه أكيده، فمنها ما يؤرخ في عام ٦٤ ولكنها كتبت بعد ذلك التاريخ[2]. هكذا يقول و.ل.ديورانت في قصة الحضارة.

الأمر الذي يلاحظ معه المرء التلفيقات والإضافات في سيرة المسيح، فكيف برسالته ونصوصها الأصلية، المأخوذة من وحي السماء..

ونحن هنا لا نبحث عن الثغرات في رسالة المسيح وسيرته ووجوده، بقدر ما نؤكد زيف المصادر التي تناولت تلك السيرة أو الرسالة، وعدم معرفتها بالحقيقة لأن سيرته ورسالته عندنا لا لبس فيها ولا غموض – بعكس مصادرهم حتى الأناجيل وهي المعترف بها ضمن الكتاب المقدس، تناولوها بالتشكيك وأول دليل على هذا تعدد الأناجيل فيقول و.ل. ديورانت: (أما الأناجيل فليس أمرها بهذه السهولة لأن الأربع أناجيل التي وصلت إلينا هي البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيراً..).[3]

---

(١). المصدر نفسه ج ١١ ص ٢٠٣.

(٢). انظر/قصة الحضاره /و.ل ديورانت ص ٢٠٦ .

(٣). انظر /المصدر نفسه ص ٢٠٧.

ويستطرد في القول: [١]

إن أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل ترجع للقرن الثالث أما النسخ الأصلية فيبدوا أنها كتبت بين عامي ١٢٠،٦٠م ويستمر في القول: ثم تعرضت بعد كتابتها، مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل ولعلها تعرضت لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ أو أغراضها) [٢]..

من ذلك نرى أن الأناجيل هي صناعة بشرية لاتمت للوحي الإلهي بصلة. وهي لاتعدو أن تكون قصص من تاريخ المسيح أو شيء من مواعظه تصورها أو نقلها الأتباع بعد صياغتها بالزيادة والنقصان.. وحسب الترجمة المسكونية: فقد بدأ ذكر الروايات التي تنتمي إلى هذه الأناجيل (الأربعة) في نحو منتصف القرن الثاني.. وفي تعليقات هذه الترجمة نذكر (أنه لاتوجد على أي حال أي شهادة تقول بوجود مجموعه من الكتابات الإنجيليه قبل عام ١٤٠) [٣]

...هذه واحدة من بعض الأراء حول الأناجيل مجتمعة وتاريخها وهناك دعوى أخرى يقول بها ا.تريكو ..A.TtRICO

حيث استقر العرف على استخدام الكلمة إنجيل في نحو عام ١٥٠م.. والترجمه المسكونيه ترجع إلى عام ١٧٠ تقريباً التاريخ الذي اكتسبت فيه الأناجيل الأربعه صفه الأدب الكنسي. [٤] ويقول الأب عبد الأحد داود : [٥].

إن رسم كلمة الأنجيل لم يحرر من قبل هؤلاء المبشرين الأربعة أنفسهم

---

(١). انظر/ المصدر نفسه ص ٢٠٧

(٢). انظر/ المصدر نفسه ص ٢٠٧

(٣). انظر/ القرآن والإنجيل والتوراه / موريس بوكاي/ص٧٥

(٤). انظر المصدر نفسه ص ٧٦

(٥). انظر /الميزان الطهطاوي/ ٣٩

ولكنه أضيف عليها من قبل الكنيسة مؤخراً أومن قبل مجمع نيقيه (٣٢٥)م. أما بالنسبه للوحي المسيحي الحالي..

فيقول القديس جوستين والذي عاش في منتصف القرن الثاني يطلق على مايسمى بالوحي المسيحي .(مذكرات الرسل). [١]

أما عن صحة الأناجيل ومصادرها فيقول الناقد الجريء (فاستس):

(إن هذا العهد الجديد ماصنفه المسيح ولا الحواريون بل صنفه رجل مجهول الإسم إلى الحواريين ورفقاء الحوارين ليعتبر الناس.. وقد أذى بذلك المريدين للمسيح إيذاءً بليغاً).... [٢]

فقد ألف الكتب التي تمتلىء بالأغلاط والمتناقضات ..

مضمون الكتاب المقدس

أما الكتاب المقدس فقد إشتمل على العهدين القديم والجديد،.. أي التوراه والإنجيل، ولكن نحن هنا بصدد العهد الجديد (الإنجيل).. ومضمونه لدى المسيحيين من ثلاثة عناصر أو أجزاء .

أولاً- الأناجيل الأربعة.. متي - ومرقص - ولوقا - ويوحنا.. وهذه الأناجيل، سرد للقصة التاريخية لحياة عيسى عليه السلام، ورسالته ومواعظه يضاف إلى ذلك رسالة تتضمن أعمال الرسل أي معلمي المسيحية وهذه من صنع لوقا.. التلميذ النشط لبولس لابل (الطبيب الحبيب) وهي قطعاً تخص أعمال بولس الرسول أكثر من غيره من الرسل الذين علّموا المسيحيه..

---

(١). انظر المصدر نفسه /٣٩

(٢). انظر المصدر نفسه /ص١٩٢

ثانياً - الأسفار التعليمية. وهذه بمثابة رسائل الرسل وهي تقريباً.. واحد وعشرون رسالة أكثرها من صنع بولس نفسه وهي على رأي و.ل.ديورانت في قصة الحضاره. (وفي وسعنا أن نعد الرسائل الموجهة إلى أهل غلاطيه، وكورنثوس، وروميه من رسائله بحق.. وأن نرجح الرسائل الموجهة إلى تسالونيك وفيلبي، وكولوسي، وفيلمون هي أيضاً له.. بل إن الرسائل الموجهة إلى أهل افسوس نفسها قد تكون أيضاً من رسائله.. ورغم أنه يؤكد أنها لبولس إلا أن كلامه تشوبه بعض الشكوك وهذا الأمر ينسحب على أغلب المصادر المسيحيه..[1]

أما أحمد شلبي في كتابه المسيحيه ص٢٠٥ فيُفصل في هذا الأمر أكثر فيقول ما معناه: إن الرسائل التي تنضوي تحت الأسفار التعليمية هي واحد وعشرون رسالة وهي على الشكل الآتي ..

رسالتان لأهل تسالونيكي سنة ٥٤م.. ورسالتان لأهل كورنيش الأولى والثانية.. رسالته إلى أهل رومه ٥٦،٥٧م.. ورساله إلى أهل إفسس، وفيلبي، وكولسي، سنة ٦١،٦٢.. ورسالة أهل غلاطيه.. ورسالتان إلى تلميذه ثيمو ثاوس، ورسالة إلى تيطي وأخرى لفيلمون ورسالة إلى العبرانيين فتكون هذه أربعة عشر رسالة وهي من صنع بولس، والباقي هي على الشكل التالي.. ثلاثة رسائل من كتابة يوحنا.. ورسالتان من كتابة بطرس، ورسالة من كتابة يعقوب ورسالة من كتابة يهوذا..[2]

وهكذا نلاحظ أن الأغلبيه لبولس، ولذا يكون الكتاب المقدس من صنع أو إيحاء بولس ومريديه وأتباعه لامن وحي المسيح نفسه أو مما أوحي إليه، أما

---

(١). انظر قصة الحضاره و.ل .ديورانت ص٢٦٢ جزء ١١

(٢). انظر المسيحيه أحمد شلبي ص٢٠٥

الظروف التي أملت عليه كتابة تلك الرسائل الأربعة عشرة فهي كما يقول، و.ل.ديورانت في قصة الحضارة كما يلي بالنص:

((ولم يكن يكتبها بقلمه، بل كان يمليها، وكثيراً ما يضيف إليها حاشية.. بخط يده غير الأنيق ويبدوا أنه تركها دون أن يراجعها، تركها بكل مافيها من تكرار وغموض وخطأ نحوي)).[1]

ويقول و.ل. ديورانت في قصة الحضارة، عن إعترافات صريحة لبولس، يصفها المؤلف بالرياء الشبيه برياء رجال السياسة فيقول:

صرت لليهود كيهودي لأربح اليهود.. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس.. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس، مع أني لست بلا ناموس لأربح الذين بلا ناموس وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه)).[2]

أما أنا فأقول له نم قرير العين فأنت أهم شيء في الإنجيل.. ويستطرد و.ل. ديورانت في كتابه فيقول عن تحولها كأخص خصائص اللاهوت المسيحي فيقول:

واحتفظت الجماعات بهذه الرسائل التي وجهت إليها ولم يكد يختم القرن الأول حتى كان الكثير منها معروفاً واسع الإنتشار.

ويعلق الكاتب على ذلك التراث فيقول: لقد أنشأ بولس لاهوتاً لانجد له إلا أسانيد غامضه أشد الغموض في أقوال المسيح وبولس هذا هو الذي أذاع بين الناس[3].

---

(١). انظر قصة الحضاره و.ل. ديورانت ص٢٧١/ جزء١١

(٢). انظر المصدر نفسه ص ٢٧٣

(٣). انظر قصة الحضاره و.ل.ديورانت ص٢٧٢

(المسيح ابن الله) و(حكمة الله). وأما الجزء الأخير من الكتاب المقدس فهو سفر الرؤيا ليوحنا كما يرى ذلك أحمد شلبي في كتابه المسيحيه.ص٢٠٦.

وهذه كانت بمثابة رؤيا رآها يوحنا المشكوك في أمره والذي اكتنف حياته الغموض فيقول و.ل. ديورانت في قصة الحضارة عن يوحنا هذا: (ولقد إنحدر الينا مؤلفان كبيران مقرونان باسمه فضلاً عن رسائل ثلاث ويحاول النقاد أن يرجعوا سفر الرؤيا الى عام ٦٩-٧٠ ويعزوه إلى يوحنا آخر هو يوحنا (اللاهوتي) الذي ذكره بيباس ١٣٥ م..

أما جستن مارتن فيعزو هذا السفر القوي إلى الرسول المحبوب.. لكن يوزبيوس ذكر من عهد بعيد.. يرجع الى القرن الرابع، أن بعض العلماء يشكون في صحة نسبته اليه.[١]

وفي مكان آخر يقول و.ل. ديورانت في قصة الحضارة:

((وقد يبدو من غير المعقول أن يكون كاتب سفر الرؤيا هو نفسه كاتب الإنجيل الرابع.. ذلك أن سفر الرؤيا، سفر يهودي وأن الإنجيل فلسفه يونانيه)) ..

وبهذا ينكر على يوحنا في إنجيله الرابع أن يكون ذا سمة دينيه.. بل هو فلسفه يونانيه تمت كتابتها في أيام نضجه وشيخوخته ونزعته الميتافيزيقيه[٢]. ويقول أحمد شلبي عن هذه الرؤيا:

(وكان الأجدر بالمسيحين أن يحذفوا هذه الرؤيا من الكتاب المقدس فهي للخرافات أقرب..

(١). المصدر نفسه ص٢٧١

(٢). المصدر نفسه ص٢٧٤

وهو يشير بذلك ما ورد في الإصحاح الثاني عشر من الرؤيا وتصويره المسيح بالخروف المذبوح، وقد قال الروائي الإنجليزي- h.loranc.e.. عن هذا التعبير بأنه تعبير ناب، جاف[1].

****

(١) انظر المسيحيه أحمد شلبي ص٢٠٦

الأناجيل

إنجيل متي:

متي كما يذكر البعض كان من أحد الحواريين، ويقال أنه كتب إنجيله قبل مرقص ولوقا ويوحنا.. ولكن هذا الإنجيل يكتنفه بعض الشكوك، يقول أحمد شلبي في كتابه مقارنة الأديان حول الشكوك التي تحيط بإنجيل متي، وكل ما يقوله:

هو أن متي كتب إنجيله باللغة الآرامية، ولكن هذه النسخة مفقودة ولها ترجمة باليونانية ولم يعرف المترجم ولاسنة الترجمة.. وينتهي إلى هنا قول المؤلف.(١)

وبعد ذلك يعتمدون على أناجيل متي أو غيره – إذا كانت النصوص الإلهية التي ذكرت في إنجيل المسيح الأصلي غير موجودة ولا حتى الكتب الأخرى القريبة من عهد المسيح – موجودة.

فكيف يمكن الإعتماد على كتب مترجمه لا أصل لها. ولا أصحاب، مجهولة الإسم والعمر والهوية، فهذه أنى لها معرفة أخبار الغيب حتى أن البروتستانت المتأخرين، شكوا في كون الفصلين الأولين منه لمتي...

ويقول موريس بوكاي: يتفق الجميع على الإعتقاد بأن متي قد كتب إنجيله إعتماداً على مصادر مشتركه بينه وبين مرقص ولوقا ولكن روايته تختلف ويستطرد فيقول:

(ومع ذلك فقد استخدم متي بشكل واسع إنجيل مرقص ويضيف العبارة وهو الذي لم يكن أحد حواري المسيح(ا. كولمان).(٢)

---

(١). انظر المسيحيه أحمد شلبي / ص٢٠٩

(٢). انظر القرآن والإنجيل والتوراه ،موريس بوكاي ص٨١

وذكر أن متي يضع نصوصاً من تأليفه ووصف بأنه يتصرف بحرية خطيرة مع النصوص .[1]

حتى أنه قيل ((قد لحق بكتابه روايات يستحيل بالدقة تصديقها))[2]

ويشير هنا الكاتب مثالاً من خلال الفقرة ((الإصحاح ٢٧:٥١-٥٣ فيقول ليس لها مثيل في الأناجيل الأخرى ويقول متي في الأحداث التي تواكب موت المسيح، ((وإذا حجاب الهيكل قد إنشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهر الكثيرون)) ويصف هذا المشهد الكاتب بعدم المعقوليه..[3]

ويقول تريكو عن هذا الإنجيل ما يلي:((تحت يونانية الثوب يكمن الكتاب يهودياً لحماً وعظماً وروحاً)) وهذه الإعتبارات تضع إنجيل متي داخل الجماعة اليهودية المسيحية التي تحاول كما يقول – ا.كولمان:

((أن تقطع العلاقات التي كانت تربطها باليهودية مع الإحتفاظ في نفس الوقت بخط مستمر مع العهد القديم)).[4]

وفي الجوهر يمكن أن نستشف خصوصية دعوة المسيح عليه السلام لبني اسرائيل كما يذكر محمد الحاج[5]:

وفي هذا الصدد لاننسى قصة المرأه الكنعانيه التي طلبت من المسيح أن

---

(١). المصدر نفسه ص ٨٢

(٢). المصدر نفسه ص٨٢

(٣). انظر القرآن والإنجيل والتوراه موريس بوكاي ص٨٢

(٤). انظر/ المصدر السابق / ص٨٠

(٥). انظر الوحدانيه في النصرانيه ،محمد الحاج ص١١٤

يشفي لها ابنتها فلم يجبها بكلمه، وعندما توسل إليه تلاميذه قال:

((ماأرسلت إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضاله)) متي١٥-٢٤.

أما و.ل ديورانت فيورد في كتابه عن إنجيل متي وكتابه مثل ذلك: وأنه كتب في الأصل باللغة العبرية أي الآرامية ولكنه لم يصل إلينا إلا باليونانية ويورد هذا القول عن إيرنيوس[١].

ويرى النقاد أنه من تأليف أحد أتباع متي وليس من أقوال (متي العشار) أحد حواري المسيح.. ويرى أن كثيراً من نبوءات العهد القديم قد تحققت على يد المسيح ويقال أنه أقدم الأناجيل..[٢]

إنجيل مرقص

((يتفق الناقدون – كما يرى و.ل ديورانت في كتابه قصة الحضارة، على أسبقية انجيل مرقص في الزمن من سائر الأناجيل، وعلى تحديد تاريخه بين عامي ٦٥-٧٠م.

ويقول ((ولسنا نجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠م إلا في كتابات بيياس الذي كتب في عام ١٣٥ إذ يقول:

((إن يوحنا الأكبر وهو شخصية لم يستطع الإستدلال على صاحبها، قال إن مرقص ألّف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس..)).[٣]

ويضيف بيياس إلى هذا قوله ((وأعاد متي كتابة الكلمات بالعبرية)).. وتختلف الأناجيل حسب رؤى كاتبيها لأن المصدر الحقيقي لها لم يعرف بعد..

---

(١). انظر قصة الحضاره و.ل. ديورانت ص٢٠٨ جزء١١

(٢). قصة الحضاره و.ل. ديورانت ص٢٠٨

(٣). المصدر نفسه راجع من ص ٢٠٧

أما ويليم باركلي.. فيرى أن إنجيل مرقص هو خلاصة مشاهدات بطرس ومواعظه كما ذكر أحمد شلبي.[1]

ولكن ويليم باركلي يرى أن انجيل مرقص كان مصدراً لمتي ولوقا..

وخلاصة ما جاء في انجيل مرقص – كما جاء في ((مروج الأخبار في تراجم الأبرار)) أن مرقص كان ينكر ألوهية المسيح..

وتذكر المصادر المختلفة، أنه صحب بولس، في رحلته التبشيرية الأولى ولكنهما اختلفا وافترقا في برجه.. هذا ولم يذكر أحد عن تاريخ انجيله إلا أنه يقال كتبه باللغة اليونانية..[2]

الحق، لاتوجد أدلة ثابتة، على مانقول فهذا يناقض هذا.. قالوا: متي استقى من مرقص وآخر قال مرقس استقى من متي وبطرس.. والذي يهمنا من هذا هو اختلاف المصادر في حقيقة هذا الإنجيل، تاريخاً ولغةً، ومصدراً.. فكيف بعد ذلك يمكن الإعتماد عليه كأساس لعقيدة يدين بها ملايين البشر، فالناس لاحاجة لهم عند تشذيب أرواحهم وتهذيبها لما هو عاجز عن ولوج عالم الروحانيات والغيبيات.. فهذا اختصاص رباني أذن به لا بل أوحى به مباشرة لرسل مخلصين لاتؤخذ إلا منهم الحقيقة.. أي هو رسالة السماء إلى أهل الأرض لايمكن أن ياتي بطلب من الإنسان فهي رغبة إلهية..

الهدف منها هو هداية البشر إلى الصراط المستقيم أما ما جاء في هذا الإنجيل فقد جاء بطلب من آهالي روما (سنة ٦٣٠-٦٥٠) باللغة اليونانية ومن خلال تعهد انساني، أي بإشراف أستاذه بطرس[3]. ويتابع صاحب كتاب الميزان: أن

(١). انظر المسيحيه ،أحمد شلبي ص٢١٢

(٢). انظر المسيحيه أحمد شلبي ص٢١٢

(٣). انظر الميزان للطهطاوي ص١١٢

بعض المؤرخين يقول هو من تحرير بطرس وحتى هذا الإشراف الإنساني والرغبة الإنسانية كانت تنكر ألوهية المسيح إلا أنه أضيفت رغبة ثالثة أيضاً إنسانية..

وهي عبارة.. (المسيح ابن الله).. وهذا يؤكده أو يقول به جورج بوست الأمريكي: في تفسير الكتاب المقدس – بأن ما جاء في الإصحاح ١٦من عدد٩-٢٠ لم يكن في النسخ الأصلية القديمة بل أضيفت إليه.[1] وفوق كل ذلك – كما يقول موريس بوكاي ص٨٥ إن انجيل مرقس يتناقض مع إنجيلي متي ولوقا بخصوص طلب الجيل آية من المسيح وهي آية يونس عليه السلام[2].

وماذا أقول بعد هذا اللغط الذي يدور حول هذا الإنجيل وصاحبه الذي قيل عنه أنه لا يعتبر من تلاميذ المسيح أصلاً–ا.كولمان ص٨٤.[3]

وحتى إذا كان أحدهم من الحواريين أو من تلاميذ المسيح فإن الأناجيل المنسوبة لأحدهم لا تسلم من التحريف.. أو الإضافات الأخرى ممن جاء من بعدهم.. ويضع الكتّاب المحدثون أيديهم على إضافات خاصه بخاتمة هذا الإنجيل خاصه ضمن الإصحاح ١٦– الآيات من ٩-٢٠ وتشير الترجمة المسكونية إلى هذا بشكل صريح (بوكاي ص٨٦)..

ويقول ا.كولمان.. في نفس السياق ((أضاف مخطوطات يونانية أقرب عهداً وبعض نصوص أخرى إلى هذا الموضع..

خاتمة ظهور المسيح لا تنتسب إلى مرقس وإنما هي مستخرجة من أناجيل أخرى))[4].

---

(١). انظر الميزان للطهطاوي ص١١٢

(٢). انظر القرآن التوراه الإنجيل موريس بوكاي ص٨٥

(٣). المصدر نفسه ص٨٤

(٤). المصدر نفسه ص٨٦

ويعلق الأب كانينجسر على هذه الخاتمة بقوله ((لابد أنه قد حدث حذف للآيات الأخيرة عند الإستقبال الرسمي (أو عند النشر على العامة) لكتاب مرقس في الجماعة التي ضمنته ولا متي، ولا لوقا ولا يوحنا، بالأحرى قد عرفوا هذا الجزء المفقود[١].

انجيل لوقا

وهذا الإنجيل.. يكتنفه بعض الغموض أيضاً فمن ناحية يعتبر إنجيل لوقا عمل أدبي بلغة يونانية كلاسيكية راقية تخلو من حوش الكلام.. ومن ناحية أخرى كون لوقا نفسه أديب وثني آمن بالمسيحية فلابد أن هذه الصفة، تلقي بظلالها أو بفنها الأدبي أثراً لايستهان به على هذا الإنجيل.. هذا غير الصفه - صفته الأولى الوثنية فهذه لا تدع الإنجيل الأصلي على ما هو عليه، فكما يشير ا. كولمان: فإن لوقا يحذف من روايته أكثر الآيات اليهودية عند مرقس[٢].

ونحن نعلم أن المسيح لم يرسل إلا إلى بني إسرائيل كما تقول النصوص، وفي الواقع نلمس في أغلب الأحيان إضافات وتغييرات إنسانية على رسالة المسيح، لا ينبغي أن تكون وهي رسالة موحى بها من السماء وهذا أشار إليه كثير من العلماء الغربيين والباحثين منهم كما أشار إليه ولفت الإنتباه إليه موريس بوكاي ص ٨٧..

وهو يعلق على إضافات وتغييرات لوقا مقارنة مع غيره، مما أجبره على القول: أنهم يضعون على لسان المسيح ما يتناسب مع وجهات نظرهم الشخصيه ويعلق بالقول: إن المقارنة بين المنحى العام لإنجيل متي وإنجيل لوقا

---

(١). المصدر السابق/ص٨٧

(٢). انظر القرآن والإنجيل والتوراه موريس بوكاي ص٨٧

يأتي ببرهان قاطع في هذا الشأن [1].

ويلاحظ ا. كولمان.. في كتابه العهد الجديد ص١٨ روايات من إنجيل لوقا لاتوجد في الأناجيل الأخرى[2].

وقيل إن رسالة المسيح عليه السلام تختلف في نقاط كثيرة عنها في الأناجيل الأخرى.. والأب كانينجسر.. يرى فيه ميلاً عظيماً للأدب، بل يقول: ((إنه يتمتع بكل صفات الكاتب الروائي الحقيقي)).. أما الأب روجي في كتابه (مقدمة الإنجيل) ص٧٥ يلاحظ أن الكلمات التي يسوق بها إنجيل لوقا (الإصحاح،٢٢-١٩-٢٤) سر القربان المقدس تختلف عنها في إنجيل متي (الإصحاح ٢٦-٢٦-٢٩)..

ويقول مارغوسطنيوس (إني لم أكن أؤمن بإنجيل لوقا لو لم تسلمني إياه الكنيسة)[3].

أما ما يقول أحمد شلبي في كتابه المسيحية هو: أن لوقا لم يكن من الحواريين ولامن تلاميذهم، بل هوتلميذ بولس. وهذا أيضاً ما ورد في تفسير المنار لما نقل عن صاحب الذخيرة من أن (لوقا كان تلميذا ومعاوناً لبولس) وأورد بالنص:

((قد أغفل متي ومرقس بعض حوادث وأمور تتعلق بسيرة المسيح، وقام بعض الكتبه واختلقوا ترجمة مموهة ليسوع المسيح، وكثيراً ما فاتهم فيها الرواية والتدقيق فبعث ذلك بلوقا على وضع إنجيله، ضناً بالحق فكتبه باليونانية، وجاء كلامه أصح.

(١). انظر القرآن والإنجيل والتوراه موريس بوكاي ص٨٨

(٢). انظر القرآن والإنجيل والتوراه موريس بوكاي ص/ ٨٨

(٣). انظر /الميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي ص ١١٣

وأفصح وأشد إنسجاماً، من كلام باقي مؤلفي العهد الجديد، وذهب كثير من المحققين إلى أنه كتب إنجيله في السنة ٥٣ للمسيح، بل سنة ٥١)).[١]

وتبين أنه كان يحمل إنجيلي متي مرقص وأنه اقتبس منهما ما وافقهما فيه..

وحول الشكوك في إنجيل لوقا نورد قول الدكتور بوست في قاموسه أن البعض يظنون أن لوقا من مواليد أنطاكية وأن بولس هو مؤلف الإنجيل وما لوقا إلا كاتبه ويعلق أحدهم بالقول:

((ولعل الذين قالوا إن بولس هو الذي كتب هذا الإنجيل هم المصيبون لمشابهه أسلوبه لأسلوب رسائله باعترافهم.. وهذا القول ليس غريباً فيبدوا..

أن علاقة وطيدة كانت تربط لوقا ببولس، وهوالذي قال عنه (إنه الطبيب الحبيب) ويذكر أحمد شلبي في كتابه (المسيحية) أن لوقا آمن برسالة بولس وأخلص لها ولم يعرف من المسيحية سواها.[٢]

ومثل ذلك ورد في قصة الحضارة: عن إنجيل لوقا..

((أنه، كان صديقاً لبولس، ومؤلف سفر أعمال الرسل وهويقتبس كثيراً من كتابات مرقس، كما يقتبس منها متي، وإنك لتجد في إنجيل متي ستمائة آية من الستمائة والإحدى والستين التي يشتمل عليها إنجيل مرقس.. وتجد ثلاثمائة منها وخمسين في إنجيل لوقا.. تكاد أن تكون هي بنصها..

وفي إنجيل متي كثير من الفقرات التي توجد في لوقا ولاتوجد في إنجيل مرقس وتكاد تكون هي بنصها ويبدو أن لوقا أخذ هذه عن متي.. ويقول أيضاً: أو أن لوقا ومتي أخذاها عن أصل مشترك لم نعثر عليه بعد)).[٣]

---

(١). انظر المسيحيه أحمد شلبي ص٢١٥

(٢). انظر المصدر نفسه ص٢١٥

(٣). انظر قصة الحضاره و.ل. ديورانت ص٢٠٩

إنجيل يوحنا

يقول عنه و.ل ديورانت في كتابه قصة الحضارة

((إن هذا الإنجيل هو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية، بوصفه كلمة الله وخالق العالم، ومنقذ البشرية وهو يناقض الأناجيل الأخرى في كثير من التفاصيل وفي الصوره العامه..

التي يرسمها للمسيح ويرى أن الخلاص لايكون بالإيمان بل بالمعرفة الأمر الذي يشكك فيه البعض من أنه منسوب للرسول يوحنا.[1] ويستطرد مؤلف الكتاب في قصة الحضارة فيقول:

وملاك القول أن ثمة تناقضاً كثيراً بين بعض الأناجيل والبعض الأخر.. والتناقض في الأناجيل ظاهر وجلي، مما يدعو للشك والريبة في مصادرها، الاساسية والفرعية وحتى إنجيل يوحنا هذا جاء تأليفه باليونانية بين سنة٩٨،٨٩ م.. ثم ترجم إلى اللاتينية ومنها إلى لغات العالم المختلفه.[2]

ووسط هذا الإنتقال والتحول من أصل إلى فرع - إلى آخر لم يسلم أن يأت أحدهم فيقول (استالن):

(إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة الإسكندرية صنفه باللغة اليونانية ولقد كانت فرقة الوجين في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا وهذا الكلام مقتبس عن دائرة المعارف البريطانية (٢٦٣).[3]

(١). المصدر نفسه ص٢٠٩

(٢). المصدر نفسه ص٢١٠

(٣). انظر / الميزان في مقارنة الأديان/ ص١١٤/ محمد الطهطاوي

إزاء ذلك لايسعنا في هذا الصدد إلا أن نسلم بالحقيقة التي ترد من مصادرهم.. فإن كان من زيادة أوتحريف فيما يقولون.. فهم بالحري – أو الأجدر بهم – أن يتثبتوا من النصوص الواردة في كتبهم وهذه الإضافات أو الإضطرابات مبثوثه في كل زاوية وناحية..

وهي ليست بالنادرة بحيث يمكن تجاوزها فالكتب مملوءة بمثل ذلك فهذا موريس بوكاي يقول:

عن الأب روجي قوله عن هذا الإنجيل (إنه عالم آخر).. أو هو مختلف عن الاناجيل الأخرى نعم ففي إنجيل يوحنا روايات غير واردة في الأناجيل الأخرى والترجمة المسكونية تشير إليها[1]

ويعتقد ا. كولمان.. أن بعض الإضافات واضحة في هذا الإنجيل مثل الإصحاح ٢١ فيقول أو يعتقد:

أنه من عمل أحد التلاميذ وقد أضاف بعض اللمسات إلى متن الإنجيل.. أي كما هو غيره، طالته يد الرغبة الإنسانية بشيء من التصرف، استجابةً لبعض الظروف أو الإحتياجات الخاصة، فيقول **موريس بوكاي:**

وإذا نظر إليها القاريء على أنها كتابات ظرفية أو خصامية، تبرز علامة واضحة أنها من صنع الإنسان.[2]

ويرى صاحب تفسير المنار.. أن يوحنا هذا هو أيضاً من تلاميذ بولس وقد جاء –إنجيله باليونانيه– ليؤكد ألوهية المسيح ..

(١). انظر القرآن والإنجيل والتوراه موريس بوكاي ص٢٨٣

(٢). المصدر نفسه ص٧٩

وهذا أيضاً، أكد عليه أحمد شلبي في كتابه المسيحية، ولكن يضيف هذا- الأخير، إلى أن دائرة المعارف البريطانية..

تؤكد أنه ليس الحواري يوحنا ابن زبدي الذي أحبه المسيح.. وكذا قالت دائرة المعارف الفرنسية شيئاً من هذا.. وننقل الآن ما أورده أحمد شلبي عن دائرة المعارف البريطانية، لعله يكون الجواب الشافي على هذه القضية ((أما إنجيل يوحنا، فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزوّر أراد صاحبه به مضادة اثنين من الحواريين أحدهما للآخر.. وهما القديسان يوحنا ومتي..

وقد ادعى، هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها.. وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً على أن صاحبه غير يوحنا يقيناً.[١]

ونكتفي بهذا القدر من النص الذي أوردته دائرة المعارف البريطانية.

والحق، بعد هذا. لايمكن القول بأحقية هذه الكتب أو هذه الأناجيل، بتأسيس مباديء المسيح الأصلية الواضحة والجلية في التوحيد والإيمان والعمل الصالح ..

وهؤلاء، ومثلهم ينسجون من خيالاتهم صوراً وثنية لصورة المسيح الحقيقية لاتخدم المباديء، والقيم الدينية التي جاءت الرسالات السماوية، من أجل بثها بين المظلومين تبشرهم بالخلاص والإنعتاق من الظلم والعبوديه والشرك..

إنجيل برنابا

وقبل أن ننتهي من الحديث عن الأناجيل.. وبعد أن سردنا صفة الأناجيل الأربعه المعتمدة لدى المسيحيين - لابد أن نرى، ماهية وصفة إنجيل برنابا.. وما قصته مع المسيحيين، حتى أُخرج من الساحة العقائدية..

(١). انظر المسيحيه أحمد شلبي ص٢١٤

وما هي الأمور العقدية التي التزم بها حتى نُبذ، وتُرك جانباً لعلنا نصل إلى الحلقة المفقودة في هذه العقيدة التي شوهت تشويهاً لا تخدم الهدف الذي جاءت من أجله، وهو التوحيد بالله والزهد بالمادة وترك الشهوات والموبقات من ممارسة الزنا والربا وشرب الخمر.. الخ ورد اسم برنابا، في رسالة أعمال الرسل (ويوسف الذي دعي من الرسل برنابا..)[1].

وفي انجيل برنابا يأت اسمه، بين الحواريين الإثنى عشرف قد جاء في انجيل برنابا ما نصه: (فلما رأى يسوع أن الجمهور الذي عاد إلى نفسه ليسلك في شريعة الله، جمهور غفير صعد الجبل، ومكث كل الليلة بالصلاة، فلما طلع النهار نزل من الجبل وانتخب اثنى عشر اسماً هم رسلاً - منهم يهوذا الذي صلب وأسماؤهم هي:

اندراوس، وأخوه بطرس الصياد وبرنابا الذي كتب هذا مع متي العشار الذي كان يجلس للجبايه ويوحنا ويعقوب ابنا زبدي وتداوس ويهوذا وبرتولوماوس وفيليس ويعقوب ويهوذا الإسخريوطي..الخائن)، ورسالة الأعمال، تذكر كثيراً من أخبار برنابا، ولا تذكر سيرته إلا مقرونة بالخير والصلاح وقيل أنه من الرسل السبعين.. ((وأنه أرسل إلى أنطاكية ولما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب)).[2]

ويرافق برنابا بولس، في رحلته التبشيرية إلى أنطاكية وهو الذي عرّفه على جميع التلاميذ، وكان الجميع يخافونه، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم، كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلّمه وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع)).[3]

---

(١). انظر أعمال الرسل ٤-٦

(٢). أعمال الرسل ٤-٢٦

(٣). انظر أعمال الرسل ٩-٢٦، ٢٧

وقيل أن خلافاً وقع بين برنابا وبولس وأن سبب الخلاف - كما تذكر بعض المصادر- هو مرقص صاحب الإنجيل.. وتذكر ذلك أيضاً رسالة الأعمال، (١٥-٤٠،٣٦).

وأيضاً ورد في أسفار العهد الجديد إلا أن الخلاف الجوهري ليس حول مرقص المذكور أنفاً وإنما في نية بولس الكامنة في نفسه وهو القول أن المسيح ابن الله.. وهناك من يدلنا على الطريق فها هو (بطرس فرماج) في عيون الأخبار في تراجم الأبرار يقول: أن مرقصاً كان ينكر الألوهية بعكس بولس وهذا أمر خطير في نظر برنابا.. لأنه يقّوض تعاليم المسيح ويأتي على قواعدها الأساسيه.[١]

وربما لهذه الأسباب، اختفى هذا الإنجيل ولم يظهر إلا في القرن السادس عشر الميلادي.. إذ عثر راهب ايطالي يسمى (فرامونيو) في مكتبة البابا سكتس الخامس على رسائل للقديس اير ينايوس الذي كان تلميذا للقديس بوليكارب والأخير كان تلميذاً للقديس يوحنا الذي كان حوارياً وتلميذاً للمسيح عليه السلام، ومع الرسائل رسالة تندد بالقديس بولس.. بعد أن تأثر بهذا الإنجيل (انجيل برنابا) فأخذ الراهب شديد الرغبة في الإطلاع على إنجيل برنابا، حتى عثر عليه فى مكتبة البابا الخاصه.[٢]

وفي إنجيل برنابا أخبار صحيحة وهامة عن رسالة المسيح.. إن لم يكن هو إنجيل المسيح الأول.[٣] وهكذا نرى أن برنابا هو من الحواريين، وإن لم يكن منهم فهو من الرسل السبعين كما يذكر أحمد شلبي في كتابه المسيحيه .[٤]

---

(١). انظر النصرانيه محمد الحاج ص٢٨٥

(٢). انظر الميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي ص ٢٤٩

(٣). انظر المصدر نفسه ص٢٤٨

(٤). المسيحيه أحمد شلبي ص ٢٢٤

وقد كتب برنابا في إنجيله الأسباب التي دعته لتأليف إنجيله ولنسمع ما يقول: ((أيها الأعزاء، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح، برحمة عظيمه للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان، ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين (المسيح ابن الله).

ورافضين الختان الذي أمر الله به دائماً مجوّزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس، الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو الذي لأجله اسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته.. أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد.. مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً)).. وفي انجيله أنكر برنابا ألوهية المسيح، فيقول قول عيسى عليه السلام وهو ينكر ألوهيته.

((إني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أني بريء من كل ما قال الناس عني من أني أعظم من بشر.. لأني بشر مولود من امراه وعرضه لحكم الله أعيش كسائر البشر، وعرضه للشقاء العام))الإصحاح٩٤ :١-٢..

ويقول: الحق أقول لكم متكلماً من القلب، أني أقشعر لأن العالم سيدعوني إلهاً).

نلاحظ، من الذي جاء في إنجيل برنابا.. أن برنابا صاحب الإنجيل يؤكد على بشرية عيسى المسيح، وينكر الوهيته، وربما هذا هو السبب، في ابتعاد إنجيله عن الساحه العقائدية – المسيحية. لأن الفكرة المهيمنة على المسيحيين،هي ألوهية المسيح، وأنه ابن الله..

ورأيه في مسألة الصلب :

فإنه يرى أن الذي صلب هو شخص غير المسيح وهذا مايتوافق مع القرآن ومن ثم يورد، قول عيسى على الشكل الآتي :

((إعلم يا برنابا أنه سيبيعني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة نقود، وإني على يقين من أن من يبيعني يُقتل باسمي، لأن الله سيغيّر منظر الخائن ،حتى يظنه كل أحد أنه إياي)).[1]

وهذا تقريباً مشابه لقوله تعالى الذي جاء في القرآن ((وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)).[2]

ويستمر في وصف المشهد الأخير فيقول:

((لما دنا الجنود مع يهوذا سمع يسوع دنو، جمّ غفير فاستيقظ وكان الحواريون الأحد عشر نياماً ثم رفع الله المسيح..

ودخل يهوذا إلى الغرفة التي صعد منها يسوع فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه، فصار شبيهاً بيسوع حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع.. ودخل الجنود، فأخذوا يهوذا وأوثقوه ظانين أنه يسوع)).[3]

هذه الحقائق، التي يوردها برنابا، منها ما هو جدير بالإعتبار الإسلامي لأنها تنكر ألوهية المسيح، وصلبه أوقتله ولربما سبباً مباشراً لعزل هذا الإنجيل واعتباره من الكتب المحظور مطالعتها.. كيف لا وهي تضع المسيح – في وضع عادي..

نزع عنه لباس الربوبيه والتقديس.. وكأني بهم قد فقدوا أغلى مناصبهم في الشفاعة والغفران.. وكأن الكهنة والرهبان هم أول الخاسرين من ذلك لأنه ينزع الغطاء الديني عن سلطتهم وصولجانهم فها هو التاريخ يقول: ((إن البابا جلاسيوس الأول قد أصدر أمراً عام ٤٩٢ بتحديد الكتب المحظور مطالعتها فكان منها إنجيل برنابا..[4]

(١). انظر الإصحاح ١١٢ :٢٣-١٥

(٢). الايه ١٥٧ النساء

(٣). انظر الإصحاحات ٢١٥-٢١٧

(٤). انظر المسيحيه أحمد شلبي ص ٢٥٢

ولم تكن هذه الحادثة الأولى بشأن انجيل برنابا أو كتابه فهناك ذكر لبرنابا وخلافه مع بولس حين أرسلا إلى أنطاكية، للتبشير بالديانة المسيحية..

فكان الخلاف بينهما قد وقع في تلك الرحلة،علماً أن بولس كان من ألد أعداء المسيحيه. ويبدو، أن بولس هذا كان وراء أشياء كثيرة في العقيدة المسيحية.

وإلا لما كان هذا الإتفاق بين اقتراب انجيل برنابا من نظرة المسلمين والإسلام، للمسيحية واختلافه مع بولس هذا.. وكأني أريد أن أقول: أن تصورات برنابا ومقولاته في المسيحية لاتروق لبولس الذي كان يوماً ما عدواً للمسيحيةً.. وكأني به وراء كل تغيير دخل المسيحية..

****

الفصل الثالث

الانحرافات والصراعات الدينيه - اسبابها

والحق، إن تصورات الصلب والألوهيه، والتثليث – هي المسائل الطارئة على العقيدة المسيحية، وهي التي تمكّن الأشخاص من التطاول على العقيدة ذاتها ومن ثم استغلال البشر.. فذلك يسّهل نقل الألوهية من المسيح إلى من يخلف المسيح، من بني البشر..

أولاً – مسألة الصلب: فكرة الصلب جاءت من:

((أن الله عادل ورحيم، ولكونه كذلك فلا بد أن يعاقب آدم عليه السلام ويعاقب ذرية آدم، على خطيئة أبيهم التي طرد بسببها من الجنة – وأما لأنه رحيم فإنه يغفر سيئات البشر.. ولكي يجمع بين عدله ورحمته،لا بد أن يكون المسيح، وسيطاً لذلك الأمر، فهو بمثابة ابن الله..

وكأن الله في ابنه، وقد أرسله على شكل إنسان ليعيش مع البشر فيأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون.. ومن ثم يصلب لا لذنب ارتكبه، ولكن ليكفّر عن خطيئة أبيه وهو الإنسان.. وقد ورد في كتب العهد الجديد .

((وان ابن الإنسان جاء ليخلص ما قد هلك، فبمحبته ورحمته – قد صنع طريقاً للخلاص. لهذا كان المسيح هو الذي يكفّر عن خطايا العالم، وهو الوسيط الذي وفق بين محبة الله تعالى، وبين عدله ورحمته، إذ أن مقتضى العدل، أن الناس كانوا يستمرون في الإبتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم..

ولكن باقتران العدل والرحمة، وبتوسط الإبن الوحيد، وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق قرّب الناس من الرب بعد الإبتعاد))[1].

من يصدق أن ذلك من أساسات المسيحية الأولى أو هي نصوص إلهيه وهي توحي: وكأن الله ((دبر طريقه للفداء وهي الصلب لإبن الله نيابة عن البشر)).. أليس الأجدر بأن كل نفس بما كسبت رهينه!! وفي الواقع، بقيت مسألة الصلب موضع اختلاف كبير بين النصارى[2]. حتى نزول القرآن، إذ حسم هذه القضية بقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧] .

ويذكر خواجه أفندي في كتابه ينابيع المسيحية مايلي:

لم تكن المسيحية مصدر الصليب، ولم تبتدىء معرفة الصليب من تاريخ الصلب المسيحي. (وكلمنت) لم يشر إليه في قائمته الخاصة برموز وقوانين المسيحيه[3].

ويقول أحد علماء النصرانية، وهو المسيو ادوارد سيوس، في كتابه عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية قال: إن القرآن ينفي قتل عيسى وصلبه، ويقول بأنه ألقى شبهه على غيره فغلط اليهود وظنوا أنهم قتلوه، ويتابع هذا.. أن ماقاله القرآن موجود عند طوائف نصرانية ..[4]

ويذكر الطهطاوي في كتابه مجموعة من الطوائف.. نذكر ذلك منهم: السيرفنيون، فإنهم قرروا أن أحد الحواريين، صلب بدل عيسى وقد عثر على فصل

(١). انظر انجيل يوحنا ٣-١٦ ورسالة روميه ٣:٢٣

(٢). انظر النصرانيه من التوحيد الى التثليث ص٣٠٢ محمد الحاج

(٣). انظر ينابيع المسيحيه خواجه أفندي ص١٤١

(٤). انظر الميزان في مقارنة الأديان الطهطاوي ص١٣٨

من كتب الحواريين.[1]

وانجيل برنابا يُفصّل كثيراً في هذا الأمر ويذكر أن الذي صلب، هو يهوذا الإسخريوطي، وهو ينكر فكرة الصلب للمسيح من أساسها، وها هو يشهد أحد العلماء الألمان بأن ذلك لم يحدث وإنما هو من مبتكرات ومخترعات بولس.[2]

وهي كما تظهر من نسج الخيال الإنساني، لكنها اعتقاد ذهني يدحض اعتقاد ذهني آخر، وهويعني ضعفه أمام عظمة الله.. فلا يعقل أن يكون ضعيفاً ثم يكون ابن الله أو هو الله فهذه تدحض تلك والعكس صحيح..

ثانياً – مسألة التثليث

أما عقيدة التثليث، فكانت من وحي بولس وأفكاره وهو الذي نقلها الى المسيحيه من العهود الرومانية واليونانية والمصرية العريقة في مسألة التثليث والفداء..

يقول يوحنا في رسالته الأولى ٧،٥: ((إن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والواحد في ثلاثة..

يقول الدكتور يوسف بوست عن عقيدة التثليث كما ورد في كتابه (قاموس الكتاب المقدس).[3]

((إن طبيعة الله في ثلاثة أقانيم.. فالله هو الأب وإليه ينتمي الخلق بواسطة الإبن.. الله هو الإبن، وإلى الإبن خولت مهمة الفداء.. الله هو الروح القدس، وبالروح القدس يصير التطهير.. والأقانيم الثلاثة – تتقاسم الأعمال الإلهية. ويقول

---

(١). انظر المصدر نفسه ص١٣٩

(٢). المصدر نفسه ص١٤٠

(٣). يمكن مراجعة المسيحيه أحمد شلبي ص ١٣٩

محمد رشيد في تفسير المنار[1]:

إن تعاليم بولس هي أقرب الى عقائد الرومانيين الوثنيه ،لذا كانوا هم الذين رجحوها ورفضوا ما عداها وكذلك كانوا أصحاب السلطه الأولى في النصرانيه، أما قاموس الكتاب المقدس فيما يذكره عن التثليث فهو:((اعترف كبار العلماء اللاهوت أنها كلمه لم ترد في الكتاب المقدس ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها (ترتليان) في القرن الثاني للميلاد ،وقد خالفه كثيرون ولكن مجمع نيقيه أقر التثليث سنة ٣٢٥ م)).

هذا الكلام مذكور في قاموس الكتاب المقدس ينقله محمد رفعت الطهطاوي في كتابه الميزان في مقارنة الأديان ص ١٣٧ *.

ويتابع القول:أن التثليث استقر بعد ذلك عند الكنيسه المسيحيه على يد ((أوغسطينوس) في القرن الخامس الميلادي*.[2]

وفي الواقع عقيدة الثالوث غير مفهومه لدى الكثيرين إلا أن الإستاذ محمد مرجان، كان نصرانياً فأسلم –جمع بعض تفسيرات دعاة التثليث فقال:

((يرى فلاسفة المسيحيه أن الله سبحانه يتكون من ثلاثة أقانيم، أي ثلاثة عناصر أو أجزاء. الذات والنطق والحياه.. فالله موجود بذاته.. ناطق بكلمته، حي بروحه، وكل خاصيه من هذه الخواص تعطيه وصفاً معيناً فإذا تجلى الله بصفته ذاتاً سمي الأب ..

واذا نطق فهو الإبن واذا ظهر كحياه فهو الروح القدس. *من كتاب الله واحد أم ثالوث*.[3]

---

(١). تفسير المنار/جزء١٠ /ص٣٣٠ .

(٢). انظر/ الميزان للطهطاوي ص١٣٧ .

(٣). انظر النصرانيه من التوحيد الى التثليث ص٢١٠/محمد الحاج.

وهناك تخيلات وتفسيرات كثيره لعقيدة الثالوث وكلها تقريباً تعتمد على ثلاثة أقانيم– وكلها بمثابة اشراك مع الله.. والله لاشريك له في الملك ولذا يقول القرآن في آياته: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ [المائدة:٧٣].

ويمكن القول أن الإنسان لقصوره العقلي دائماً يلجأ إلى تصوير الأمور على صورته هو، حتى يفهم ما أشكل عليه لذا كان لابد من العودة إلى القرآن في هذه الأمور.. جاء في كتاب ينابيع المسيحيه *[1].

(أنه لايمكن أن نعزو وننسب الألوهيه للمسيح للأسباب الآتية نذكرها بتصرف:

١– أن المسيح لم يدعَ الألوهيه أبداً كما ورد في الكتب المقدسه – كما رأينا..

٢– يتضح من سيرته أنه كان رجلاً له جسم ونفس وعقل وهذه قطعاً لها متطلبات الأمر الذي ترنو إلى غيرها أي تحتاج غيرها بعكس الألوهيه التي هي في غنى عن الغير ..

٣– لاتحتاج الوهية المسيح إلى ولاده عذريه وأن ولادته من غير أب لاتعني أنه يتصف بأية صفه من صفات الألوهيه، هذه نقاط مأخوذه من عدة نقاط يوردها المؤلف على امتناع كينونة المسيح إلهاً.. وفي الصفحة ٨٠ يقول القس الموقر ه.د .ا ماجور رئيس معبد ريبون بإكسفورد: ((يجب أن نعلم علم اليقين أن عيسى لم يقل في الأناجيل إنه ابن الله بحاله طبيعيه أو بحاله نفسيه.. وإنما قال ذلك بحاله مجازيه، أي بالحاله التي يكون بها أبناء البشر هم أبناء الله))..

إلا أن النصارى أو المسيحين وهو ماغلب على تسميتهم يؤمنون في عقيدتهم التي مارسوها عن أسلافهم بأن المسيح عليه السلام:

(١) انظر ينابيع المسيحيه خواجه أفندي ص٧٩

((هو صورة الله في الأرض أي أن فيه طبيعه لاهوتيه وما دام هو كذلك فهو الله متجسداً))*.[1]

وهناك فرقة تقول : ((المسيح هو الله، وهو ابن الله وهو روح القدس)) ويذكر محمد الحاج – رأيين ينتشران عند النصارى اليوم:[2]

رأي تتزعمه الكنيسه الغربيه الكاثولوكيه، ملخصه أن الآلهه ثلاثه متميزون ومنفصلون، تسمى بالأقانيم الثلاثة: (الأب والإبن والروح القدس) ويكمل القول: أن المذهب البروتسنتي موافق تماماً لذلك* ورأي آخر: تتزعمه الكنيسه الأُرثوذكسيه – يقر بهذه الأقانيم إلا أنه يقول: في اتحادها في طبيعة واحده.. ولقد ظُلم المسيح كثيراً فهو يقول: إني اشهد أمام السماء وأُشهد كل ساكن على الأرض أني بريء من كل ماقال الناس عني من أني أعظم من بشر لأني بشر مولود من امرأة، وعرضةً لحكم الله أعيش كسائر البشر عرضةً للشقاء العام* الإصحاح ١:٩٤-٢.

ثالثاً–الوهيه المسيح

المسيح عليه السلام.. في نظر المسلمين، كما في نظر المسيحيين، جاء بمعجزات أهلته في نظر المسلمين ليكون رسولاً إلى بني اسرائيل.. أما في نظر المسيحيين فإن تلك المعجزات أهلته لأن يكون إلهاً لا بشراً رسولاً، يقول برنابا: إن ادعاء الوهية المسيح لم تكن حديثة العهد بل حتى في زمنه حدث مثل ذلك. وهذا القول يؤكد الآيات القرآنيه التي تخاطب عيسى بالإيحاء فيقول تعالى:﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦] .

(١). انظر الميزان للطهطاوي/ ص٢١٠

(٢). محمد الحاج/ النصرانيه /ص٢٠٤

فيقول عيسى عليه السلام بالنص القرآني:﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة:١١٦] *.

فيؤكد فيقول: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا﴾ [المائدة:١١٧].

وبقى المسلمون يؤكدون على بشرية الرسول، كيف لا وهو مكتوب في كتابهم المقدس – القرءان – ولم يحرّف هذا أو يغيّر رغم مرور السنين والأعوام، وتكالب الأمم على هذه الأمة، وتراثها الحضاري ..

أما بينهم، فلا انجيل المسيح –الأول– باق يرشدهم إلى الصواب.. ولا الأناجيل الموجودة هي متفقة على ذلك المبدأ.. وما بقى يؤكد على ألوهية المسيح.. كما رأينا..

ولنتابع الآن رأي برنابا في تفسير المسيحيين لألوهية المسيح.. حيث يورد قصه على إحياء المسيح للموتى، وممارسة بعض المعجزات الأمر الذي زرع في أذهان الناس والوثنيين منهم بذرة الألوهيه.. ومن ثم ترعرعت ونمت في ظل الوثنيه الماديه –وغياب الإنجيل الصحيح.. يقول برنابا:

((نزل يسوع في السنه الثانيه من وظيفته النبويه من أورشليم إلى تايين، فلما اقترب من باب المدينه – كان أهل المدينة يحملون إلى القبر ابناً وحيداً لأمه الأرمله، وكان كل أحد ينوح عليه..

فلما وصل يسوع، علم الناس أن الذي جاء إنما هو.. يسوع نبي الجليل.. فلذلك تقدموا وتضرعوا إليه لأجل الميت، طالبين أن يقيمه لأنه نبي.. فتقدم المسيح الى أم الميت وقال لها بشفقه لاتبكي أيتها المرأه ثم أخذ يد الميت، وقال: أقول أيها

الشاب باسم الله قم صحيحاً فانتعش الغلام، ولما كانت الوثنيه مسيطرة في عهد الرومان وكان يُعبد الأشخاص، الذين يقدمون منافع للناس فإن المسيح لهذا الأمر السالف الذكر أعتبر، أيضاً إلهاً..

ويقول برنابا في الإصحاح التالي*.

((وكانت عادة الرومان أن يدعوا كل من فعل شيئاً جديداً فيه نفع للشعب إلهاً وعبدوه، فلما كان بعض هؤلاء الجنود في تابين، وبخوا واحداً منا بعد آخر قائلين: لقد زاركم أحد آلهتكم وأنتم لاتكترثون له، حقاً لو زارتنا آلهتنا لأعطيناهم كل مالنا، فوسوس الشيطان بهذا الأسلوب من الكلام حتى أثار شغباً بين شعب تابين فقال قوم منهم: إن الذي زارنا إنما هو إلهنا، وقال آخرون – إن الله لا يُرى فلم يره أحد ولاموسى فليس هو الله بل هو بالحري ابنه)).

وقال آخرون: إنه ليس الله، ولا ابن الله لأنه ليس لله جسد فيلد بل هو نبي عظيم ورد هذا في الإصحاحين ٤٨،٤٧.

ولكن عيسى نفسه ينكر ألوهيته – بعد أن رأى من قومه مارأى لما أظهر معجزاته لهم ..

من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونزول مائدة من السماء.. فيقول برنابا عن المسيح وهو ينكر ألوهيته.

((إني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أني براء من كل ما قال الناس عني من أني أعظم من بشر..)) الإصحاح ٩٤ :١-٢ *).وفي الإصحاح ٥٢: ١٠-١٤ يقول:*

الحق أقول لكم متكلماً من القلب أني أقشعر لأن العالم سيدعوني إلهاً.. وهكذا هو يتألم من هذه الإفتراءات لأنها تحريف لحقيقته وحقيقة رسالته، وهذا لأمر

عظيم لأن الذي بعثه أرسله هدى وبشرى للعالمين من بني اسرائيل، ليس إلا.. ((...وإن أقامني الله نبياً على بيت اسرائيل لأجل صحة الضعفاء واصلاح الخطاه، خادم الله وأنتم شهداء على هذا)). وبعد كيف يكون عيسى إلهاً وهناك أناجيل كهذا يصرخ بعدم ألوهية المسيح.. فالأمر – محض إفتراء وتكريس للوثنيه السالفة. ويؤكد ذلك مرقص في إنجيله، بقول عيسى عليه السلام.. (الرب إلهنا إله واحد وليس آخر سواه) ١٢: ٣٠-٣١..

أثر بولس في المسيحيه

يقول بعض المفكرين: إن دعوة عيسى عليه السلام قد انتهت بصلبه لأن أتباعه اختفوا وأنكروا علاقتهم بالمسيح، هكذا يقول (ولز): لدرجه أن بطرس لما اتهم بأنه أحد أتباعه أنكر المسيح وعلاقته به.. وبطرس هذا من الحواريين كما يُقال. وهو الذي قال قولته المشهوره: لا أعرف هذا الرجل (المسيح) كما يقول (ولز) وهو ما أورده أحمد شلبي في كتابه المسيحيه*[1].

كما أن عيسى نفسه لم يكتب انجيله الصحيح وإن الذي كتبه هم من جاءوا من بعده لذا تعددت صوّر الأناجيل، وبذا لايمكن أن تعطي الصوره الحقيقيه عن رسالته أومواعظه أو أقواله وأفعاله.. لابل دخلها تغيير كبير.. من مثل تأليه المسيح، والتأكيد على صلبه أو قتله، ومن ثم خروجه من القبر إلى تأليه الروح القدس..الخ.

وكل ذلك لايمت لرسالة المسيح بصله -كما بيّنا- يضاف إلى ذلك أن رسالة المسيح كانت تتمه لشريعة موسى، وتأكيداً على ما جاء فيها، كما أنها رساله لبني

---

(١) انظر المسيحيه أحمد شلبي ص٩٢

اسرائيل وكفى.. فما الذي جعلها بعد ذلك تتجه هذه الإتجاهات المغايره لحقيقتها، من حيث صبغها بالصبغه العالميه.. وهو الذي قال:

(ما جئت الا لخراف اسرائيل الضاله).. إن مثل ذلك والرد عليه لابد أن يضعنا على الصراط المستقيم .،

فنضع النقاط على الحروف فنعرف من أين جاءت تعاليم المسيح هذه التي جاء المبشرون - يبشرون بها العرب والمسلمين وكافة أنحاء المعموره.. ومنهم من يقول :[1]*

((أن المسيح لم يؤسس المسيحيه بل كان نواة لها هذا ما قاله wells)) إن يسوع الناصري هو نواة المسيحيه أكثر منه مؤسساً كما أن كلمة مسيحي لم تظهر إلا في القرن الثالث في المجلس الذي عقد بمدينة نيس *.

إن ذلك يضعنا وجهاً لوجه، أمام شخصية فريدة في التاريخ اسمها بولس والأصل شاعول كان له اليد الطولى في إرساء أسس المسيحيه، كما يريدها هو لا كما يريدها المسيح الزاهد الروحاني من وحي السماء.. ولكن كيف ببولس هذا (شاعول) يضع أسس المسيحيه ويتسلم هذه المهمه، لا بل كيف استطاع أن يتقمص هذا الدور العقائدي الممزوج بالترياق السياسي. ولنبدأ أولاً بسيرته الأولى، وعلاقته بالمسيح والمسيحيه..

أولاً- بولس يهودي الأصل وكان من ألد أعداء المسيحيه كما تذكر المصادر المختلفه، كما أنه لم ير المسيح ولا كان من حوارييه. يقول بولس في أعمال الرسل:

---

(١) انظر الهامش المسيحيه أحمد شلبي ص ٩٢-٩٤

((سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهوديه أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها))*.غلاطيه ١ :١٣ –١٤ .

أما لوقا، وهو مريده وحبيبه فيقول عن بولس هذا، بأنه(مؤسس المسيحيه).. (وكان شاءول راضياً بقتل المسيحيين، وكان يسطو على الكنيسه.. ويدخل البيوت ويجرّ رجالاً ونساءً ويسلمهم إلى السجن ولم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكنيسه..

...وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً في الطريق رجالاً أو نساءً يسوقهم موثقين إلى أورشليم)) أعمال الرسل ٧: ٦٠، ٨ – ٣ ،٩ :١– ٢*.

لكن كيف استطاع أن يقنع الناس بما يقوله ويدّعيه، ولنسرد عنه قصه اختلقها قد تكون هي المجور الذي ارتكز عليه بولس لتدعيم مسيحيته أو آغراضه من المسيحيه.. ادعى بولس: هذا الكلام على لسان لوقا حبيبه وخليله ومريده قال: ((لما كان بولس قريباً من دمشق فبغته أبرق حوله نور من السماء ،..

فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاول شاول لماذا تضطهدني، فقال من أنت ياسيد؟؟ فقال الرب أنا يسوع الذي تضطهده.. فقال وهو مرتعد ومتحيّر. يارب وماذا تريد مني أن أفعل، فقال له قم وكرّز بالمسيحيه)).(١)

هذا عن تسلم بولس لرسالة المسيح وبإذن من نور السماء.. أما عن ادعائه بأن المسيح ابن الله فيقول لوقا بعبارةٍ صريحه..

((وللوقت جعل يكرّز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله))

(١) انظر المسيحيه أحمد شلبي ص ١١٢

وهكذا استمد بولس مسئوليته من السماء بادعائه أنه تسلم رسالة المسيح والدعوه لها من المسيح نفسه،. فهذا ولاشك لايليق أن تؤخذ هذه العقيده الدينيه هكذا وبهذه الطريقه إذ لم يتسلم الحقيقه من الوحي مباشره ومن يدري أن هذا القول هو الصحيح بعينه..

في مثل هذه الوظيفه الخطيره.. سيّما أنه أدخل عليها أموراً تجمع بين الدين والسياسه: (فأدخل على ديانته المسيحيه بعض تعاليم اليهود ليجذب عامة اليهود وأدخل صوّراً من فلسفة الإغريق ليجذب أتباعاً له من اليونان)) وبذا أرسى بولس ديانته التي ابتدعها على اسس ثلاثه:[1] أن المسيحيه دين عالمي ..

وتأليه المسيح.. أوهوابن الله.. ومن ثم التثليث. وأن عيسى عليه السلام قام من بين الأموات ليجلس على يمين أبيه (الله).

والحق، إن بولس بإضافاته استرضى القوى المختلفه، وسيما منها السياسيه.. وبذلك لم يبق من كتب المسيحيه إلاكتاباته ورسائله، وكل مايمت لها بصله، من أمثال – كتابات لوقا وانجيله، ويوحنا وانجيله.. فهي قريبه في المبدأ والأصل والفرع أما القوى السياسيه، والإقطاعيه، فقد استرضاها هي الأخرى بقوله: مثلاً للعبيد..

((أيها العبيد أطيعوا سادتكم حُب الجسد بخوف ورعده في بساطة قلوبكم كما للمسيح لابخدعة العين كمن يرضي الناس ،.

بل كعبيد المسيح عالمين مشيئة الله من القلب خادمين بنيّة صالحه كما للرب ليس للناس)) إفسس ٦: ٥ –٧*.

---

(١) المصدر نفسه ص١١٦

ويكتب إلى تلميذه تيطس (ذكّرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا تيطس ٣ –١ *..

وهكذا اختفت مباديء الوحي الآتيه عبر المسيح في الحق والحريه والخلاص من العبوديه والإقطاع لتنقلب إلى مثل تلك الأقوال.. حتى الكتب والأناجيل التي تدعو للتوحيد أو الحريه أو كل مايمت لمواعظ المسيح وأقواله وأفعاله بصله..

كلها غابت عن الساحه حتى بعض الأناجيل التي نطقت بالحقيقه مثل إنجيل برنابا، نبذ تماماً من التشريع المسيحي وتم – فقط الإعتماد على أناجيل متي ولوقا، ومرقص، ويوحنا.. وكلها ربما أسماء لأصحابها وربما من وحيه والهامه –بولس– يضاف إليها تشاريع المجامع والكنائس التي كرست ألوهية المسيح والروح القدس وفكرة الصليبب..

****

*أسباب الصراعات الدينيه

أولاً – التحولات الماديه :

الملاحظ في الحقيقه المسيحيه أنها مرت بمراحل وظروف أفقدتها أعظم الأهداف – وخاصه مايتعلق منها بأخبار الغيب وكذا الأهداف الروحيه لدرجة القول:

أن عيسى عليه السلام كان جوهر رسالته التركيز على الأهداف الروحيه حتى أنه توعد الغني بالويل والثبور من عظائم الأمور وأنذره بأن لا أمل له بدخول الجنه أو دخول ملكوت الله كما لاأمل للجمل أن يدخل سم الخياط، فهذا ولاشك أمر مستحيل الحدوث.. والحقيقة، هذا أثر من آثار المسيحيه، وهو محسوب عليهم.. وهو عكس مانراه من انتشار اللهو وحب الماده والترف.

والوثنيات الماديه وهي التي استشرت في تلك المجتمعات بحجة النظام الرأسمالي الحر.. وهذا ولاشك يؤجج الصراعات بين الدول والمجتمعات والأفراد.. وهذا موروث من الإقطاعيات القديمه.. فما أن انتصرت البابويه في أوروبا على ألأباطره واستقر لهم الحال حتى أخذت المجتمعات ألإقتصاديه والزراعيه الشكل الإقطاعي. وها هو محمد كامل ليله يلاحظ ذلك في كتابه النظم السياسيه فيقول:

((ويلاحظ أن الكنيسه ساهمت بوضوح في تطور النظام الإقطاعي))*[1].

ويقصد هنا بالإقطاعي هو احتكار الإقطاعيات والأراضي وتركزها في يد الساده.. وهذا يترتب عليه نشوء طبقة العبيد أو الخدم.. هل كانت رسالة المسيح ترشد الناس وتوجههم لمثل تلك الأعمال..؟ ومن ثم هل حقيقة هو جاء من أجل

(١) انظر النظم السياسيه محمد كامل ليله ص٤٠٢-٤٠٥

تقسيم المجتمعات إلى طبقات الساده والعبيد ..؟؟ قيل أن الكنيسه أضحت جزءاً لا يتجزأ من النظام الإقطاعي *.[1]

ما بال أولئك لايدركون من الحقيقة إلا نصفها.. قالوا بتقديس المسيح، وهو ابن الله، أو هو الرب.،

كيف يكون ذلك؟؟ وهم لايدركون حقيقة ما يفعلون، مع ما يؤمنون به فالمسيح قال بالحريه والزهد والتواضع.. أيعقل أنه كان يقصد حريه الأغنياء والإقطاعيين فقط..؟؟ ويتابع محمد كامل ليله في كتابه النظم السياسه فيقول: (وكان أصحاب الإقطاعيات مسيحيون فقط، ومقصوره عليهم دون غيرهم من الأديان الأخرى)*.[2]

احتكار مابعده احتكار!! أين المساواه والعدل التي ما انفك المسيح عن التبشير بها .. وهي المواعظ التي مابرحت مذكوره في الأناجيل.. وهذا ولاشك، تحول خطير عن مواعظ المسيح ورسالته السمحاء وانتقال خطير نحو الوثنيه الماديه – التي تستتبع نهماً وشرهاً لاحدود له في السعي وراء الماده ومشتقاتها، مهما كانت الوسائل وهو أمر خطير على الأفراد والمجتمعات المسيحيه وغير المسيحيه ..

وهو الذي قاست منه شعوب العالم الأخرى.. والمسيح من ذلك براء..

ثانياً– تأليه المسيح والإنسان

وأما التحول الآخر الذي كان له الأثر الكبير في إذكاء الصراعات الدينيه هو فكرة تأليه المسيح وهذا ولاشك أمر جد خطير لأن الرب في نظرهم تقمص في شخص المسيح الإنسان..

---

(١) انظر المصدر نفسه ص ٤٠٥

(٢) انظر/ النظم السياسيه / محمد كامل ليله /٤٠٥

وهذا أضفىنزوعاً مادياً وسلطوياً في الحياه الدينيه والأخلاقيه للإنسان ..

وهو في نفس الوقت ينقل القدره الإلهيه والسلطه الدينيه إلى الإنسان وذلك بالخلافه والإستخلاف أو بالحلول.، فيصير الله في السماء والمسيح ابنه في الأرض وكأنه ممثل للرب.. وهذه السهوله في توزيع القدرات ومنحها لأشخاص هم من خلق الله (لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً) لهو بمثابة اتجاه خطير ومن خطورته:

أن الذي يمثل السلطه الدينيه هو بمثابة خليفة المسيح فيكون القائم على الكنيسة هو خليفة المسيح الوحيد في الأرض، وهذا الأمر يمنحه سلطات لا حدود لها في حياة الناس، لذا نشأت بدع كثيره.. منها عصمة البابا:

وهذه كانت أخطر الأمور في المسيحيه – فكان تأثيرها أولاً داخلياً على سلطة الدوله أو سلطة الأباطره مما سحب البساط من تحت أقدام الأباطره ومن ثم أصبحت السلطه الدينيه والدنيويه بيد أشخاص أو بابوات يضعون التشريعات كلها.. مما أحدث صراعات داخليه وهذا كله في غياب نص ديني واحد يضاف إلى ذلك بدأت تشريعات أخرى تنسحب على الأمم الأخرى كانت بداية لإشعال الحروب الصليبيه، على العرب والمسلمين .

وهذا ولاشك نتيجة النزوع إلى الماديه وحب السيطره على العالم برمته وهو ما لم يأت به المسيح من عند الله.. والذي كان من دعاة السلام وحب الآخرين .

ثالثاً-التحول عن دعوة المسيح في السلام

جاء في معظم الأناجيل أن المسيح وهو يعظ قومه يقول لهم: ((أحبوا أعداءكم أو مبغضيكم)) إلى بقية المواعظ عن الأصدقاء أو الأعداء وكأن سبيله لنشر دعوته بين قومه هو السلام والوعظ والإرشاد، ودائماً يؤكد على أن رسالته محليه وفقط هي لبني اسرائيل.. والذي حصل أن الذين تسلموا دفة الأمور الدينيه

والماديه من بعده هم ينزعون نزعات ماديه تشوبها الأنانيه والقسوه والثأر والتسلط.. وهذا ولا ريب انقلاب على مباديء المسيح..

فنرى التجاءهم إلى تصفية الحسابات، بينهم وبين اعدائهم بالعنف والذبح والقتل إنْ داخلياً أوخارجياً، دون أن يبسطوا أيديهم لألئك الاعداء بالتبشير والوعظ السلمي الذي كان سبيل المسيح الوحيد.. ولاغرابه فقد حدث الكثير من ذلك في داخل الدين المسيحي، من حيث الإضطهاد للمخالفين والمفكرين..

الذين قالوا بوجهات نظر مختلفه، ومنه ماحدث في حالة الصراع البابوي الإمبراطوري، بين البابا والإمبراطور فهناك أمثله على ذلك كثيره ..

فقد تحدى البابا جريجوري – الإمبراطور هنري الرابع في مسألة تعين رجال الدين، ولما عارض الإمبراطور رأي البابا– نقل الأمر اليه، استخدم البابا السلاح الرهيب في وجه الإمبراطور سنة ١٠٧٦ بحرمانه من رحمة الكنيسه وعزله من منصبه ولذا دارت رحى الحرب بين البابا والإمبراطور الذي انتصر فيها البابا ومثل ذلك حدث بين فردريك الاول والبابا اسكندر الثالث*..وغيرهم كثير.[١]

رابعاً–تحويل المسيحيه الى رساله عالميه

والأمر الأخطر من ذلك هو تحويلها إلى رساله عالميه، وهذا الأمر يترتب عليه أشياء خطيره من اعتقاد المسيحيين أنهم موكولون لهذا الأمر وهذه الوظيفه إلى قيام الساعه..

وعلى أسس ومبادىء لم يثبت أنها آتيه من السماء على الوجه القطعي وهذا ولاشك تدمير للناموس الإلهي، لأن المسيح ما جاء الاحلقه واحده من حلقات الرساله السماويه.. والمسيح أشار بذلك أنه سيأتي من بعده رسول اسمه أحمد يكمل

(١) انظر النظم السياسيه محمد كامل ليله ص٤٠٣

هذه الحلقات ومن ثم تصبح رسالةً واحده الى كل الأمم من خلال خاتم الرسل، وختام الوحي السماوي..

والسبب يأتي من أن القرآن أشار إلى ذلك بوضوح تام.. وهناك مقارنات يمكن أن يلحظها كل إنسان يتوق إلى معرفة الحقيقه.. فبينما الأناجيل متعددة الإتجاهات والكتب والمبادىء ناهيك عن الإضافات في الشعائر والإعتقادات التي تختلف من طائفه لأخرى، ومن شخص لأخر وقد أوردنا الكثير من ذلك، نرى في الإتجاه الآخر :

أن القرآن ثابت لم ينله تحريف أو تبديل رغم الأعاصير والأهواء التي حاولت فعل ذلك.. والسبب قاله خالق الإنسان والكون في قوله الأبدي: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] .

والسبب أنه رساله عالميه بعكس الأناجيل المتعدده والمختلفه.. وهذا أمر أدركه كثير من المفكرين الغربيين الأحرار.، وعليه إن فكرة عالميه الرساله المسيحيه قد أخرجتها عن الأهداف المرسومه لها.. من أنها فقط لبني اسرائيل ولمرحله من مراحل البشريه انتهت بمجيء القرآن الذي ما جاء ليهدم الناموس ولكن ليتمم الناموس ..

فمصدر الرسالات واحداً وكلها جاءت من عند الله ولايمكن أن تصطدم وبعضها البعض ..

ولقد احتواها القرآن تلميحاً وتصريحاً ..

****

الفصل الرابع

الحروب الصليبيه والاستشراق

بعد التحولات الخطيره في رسالة المسيح حدثت أحداث داخليه -كما رأينا- وأحداثاً خارجيه وخاصه ضد المسلمين أتباع رسالة القرآن رغم أن رسالة المسيح الحقيقيه لاتتعارض مع رسالة الإسلام -كما رأينا- فالإثنان ينهلان من سراج واحد، ومصدر واحد..

ولوبقيت رسالة المسيح كما هي في عهد عيسى نقيه طاهره كصاحبها لآمن كل من أمن برسالة المسيح .

ولكن الذين كفروا برسالة محمد ﷺ،لايقدّرون الأديان حق قدرها.. لا بل هم وقعوا في صدام مع أهل دينهم أولاً.. ومن قبل أحدثوا عليها تغييرات جوهريه كانت سبباً مباشراً لهذا الصراع.. وخاصه أنهم قالوا بعصمة البابا تماماً كما هي ألوهية المسيح وأنه ابن الله والمسيح من ذلك براء..

بعد ذلك تم احتكار تفسير الكتاب المقدس من قبل البابا بالشكل الذي يراه مناسباً ومن ثم تطورت عقيدة الصليب وامتزجت بعد ذلك مع عالمية الرساله المسيحيه فاستعدوا بعد ذلك لكل الإحتمالات في سبيلها، بما في ذلك الصلب والقتل كيف لا وفي عرفهم، صُلب المسيح من قبل..

هكذا صورت لهم خيالاتهم الأمر، فحملوها الصلبان – ويمموا شطر دولة الإسلام.. ياللعجب ماهي دوافع ذلك؟؟.

وهل كانت بشرى المسيح ومواعظه هي ظهور دين جديد لابد من التصدي له،والحؤول دون إنتشاره ؟؟.

أمّا أنا فأقول: لايمكن أن يقودوا حملاتهم الصليبيه وفي قلوبهم ذرة من الإيمان برسالة المسيح الصحيحه لأن الذي جاءوا به مناف لحقائق ومواعظ المسيح.. وأولى تلك المواعظ، كمايقولون أو هي بقية مما جاء به المسيح هو: (أحبوا أعداءكم وأحسنوا الى من يبغضكم).

وهذا ولاريب قمة التسامح وهو لايمكن أن يكون نبراساً ومنهاجاً لدعاة الصليب والصليبيه، وحتى لو كان الإسلام والمسلمون أعداءهم فكان غير مطلوب مقاتله المسلمين أو ذبحهم ابتغاء شتى الوسائل من أجل تحقيق هذا الهدف على الأقل وفق الموعظه السالفة الذكر.. والذي يجب أن نعرفه أن الذين قادوا الحروب الصليبيه على المسلمين، لم تكن لديهم المبادىء الأساسيه لرسالة المسيح،. ولكن كانت لديهم مبادىء متناثره أخرجت أشخاصاً حاربوا الدين أكثر من أن يناصروه ونصرة الدين لاتأتي بالعنف والقتل بل تأتي بالمعروف والإحسان والموعظه الحسنه..

ولاتأتي بصكوك الغفران والشرائع التي تكرس الهيمنه ومبادىء الصلب والتثليث وألوهية المسيح وتفسير الكتاب المقدس بالطريق الخاصه ولأشخاص معينين لهذا الغرض ومن ثم احتكار هذه الوظيفه وتسخيرها في تحقيق الأغراض الخاصه.. والذي كانت نتائجه الصراع المتواصل بين الأمم والشعوب وحتى الأفراد أنفسهم، كل ذلك أفرز حركات دينيه لمحاولة الإصلاح..

فظهرت الحركه البروتسنتيه المناهضه للمذهب الكاثوليكي ولو أن سلطات الكنيسه الدينيه أمسكت برسالة المسيح الحقيقيه لوقفت هي دون غيرها أمام السلاطين والأباطره الذين قادوا الحروب الصليبيه ضد الحقيقه الإسلاميه ..

ولكن للأسف تحالفت ثلاث قوى ضد هذه الحقيقه.. وكلها أضمرت العداء للإسلام والمسلمين ونكلت بهم شر تنكيل فقط لأنهم يقولون: ((لاإله الا الله محمد رسول الله))..

وكانت هذه القوى متمثله في الأباطره أو أصحاب السلطه السياسيه الذين خضعوا لسلطان الكنيسه، التي صوّرت لهم الأمور أن الصراع مع الحقيقه الإسلاميه – حتمي وضروري .

إلا أن التحالف بين القوى كان مصلحياً مادياً المسيح منه براء، وأول المنتفعين من هذا الصراع كانت قوى الثروه والمال التي تبحث عن المزيد من الثروات والأموال لدى الآخرين وكذا كانت تبحث عن أسواق لتجارتها ومصانعها في بلاد العرب والمسلمين أو غيرهم من الشعوب..

لذا كان شكل الصراع الإسلامي المسيحي في البدايه هو الصراع العسكري المادي أو هو المواجهه المباشره .

فكانت القوى الزاحفه نحو المنطقه العربيه الإسلاميه قوى غاشمه تريد السيطره والهيمنه على المنطقه وعلىهذه الأمه لابل على الحقيقه الإسلاميه فإذا هي فشلت،.

فالأمر لايعدو كونه مرحله لابد أن تأت بعدها مراحل حتى تتحقق الأهداف، لأن الحقد المتأجج في القلوب هو صراع بين الحق والباطل..

لابين الإسلام والمسيحيه فالحقيقه المشتركه بينهما لا تزول ولن تزول لأنها هي فقط الحقيقه الكبرى وهي معرفة الله معرفه حقيقيه..

إنما الحق، والحق يقال ماكان لأولئك القادمين أن يفعلوا هذا الا بعد مرحله طويله على طريق تزييف الحقيقه تلك وتحريف مبادىء المسيح ومواعظه- الأمر الذي أشعل الفتيل الأول..

في دنيا المسلمين، ولم نبتعد كثيراً وقد أشعلوا مثله في دنيا المسيحيه – يوم أن أحرقوا دعاة الإصلاح الديني أوالناطقين بالحقيقة، حقيقة الله الواحد الأحد. كيف لا ومن قبل فعلوا ذلك مع صاحب الرساله نفسه حين تآمروا عليه لقتله أوصلبه ..

إن الذين زرعوا الصليب على صدورهم وقادوا الحملات الصليبيه، حملةً تلو الحمله، لم يخدموا رسالة المسيح في شيء ولكنهم عبّروا عن حقدهم الدفين تجاه دعاة السلام والإسلام..والمسيح منهم براء..

كيف لا وهم، أرسوا أفكاراً ما أنزل الله بها من سلطان، كلها أفكاراً ماديه مغرقه بالأنانيه والوثنيه لا تخدم الا قوى الماده والسلطان كما نرى ذلك في ادارتهم الصليبيه:

*إدارة الصراع الصليبي

كان لهذا الصراع أسباباً أجمع عليها الكتاب في الآتي:

أولاً- العودة إلى الاراضي والبقاع التي حكمتها الأمم المسيحيه قبل ظهور الإسلام وهذا أمر أوسبب غير ديني، كما أرى لأنه بمثابة استعاده لأمجاد غابره – لاتمت للأهداف الدينيه بصله..

فلو كان القائمون عليها ممن آمنوا برسالة الأديان الواحده لما صعب عليهم الأمر حين حكمها المسلمون بشرع الله، فلو آمنوا لوقفوا بجانب القاده المسلمين في تسيير دفة الأمور في تلك الأصقاع كما حصل مع الكثير منهم حين دخلوا في دين

الله أفواجا. ولاختصروا على أنفسهم مهمة الحروب تلك التي أسموها صليبيه وباسم الصليب، وهذا أيضاً المسيح منه براء..

ثانياً - تحرير بيت المقدس من المسلمين أو بالأحرى كان الهدف هو ضريح المسيح ولنسمع ماقاله ول ديورانت، في كتابه قصة الحضاره عن خطبه لإربان الفرنسي الذي كان المحرض الحقيقي للحروب الصليبيه يقول: ((..فليثر همتكم ضريح المسيح المقدس ربنا،ومنقذنا الضريح الذي تحتله الآن أمم نجسه..))*.

وهكذا نرى التضليل واضحاً في هذا الصراع وهو نتيجه طبيعيه لتحريف الحقيقه- فالمسيح كما نعلم لايملك ضريحاً في القدس ولاهو الرب كما يقولون ولا الذين امتلكوه هم أمم نجسه كل ذلك تضليل وتحريف للحقائق..

وهذا الأمر يضع النقاط على الحروف في الصراع الإسلامي المسيحي لا بل هو الذى أشاع مثل هذه الصراعات، وهي ولاشك نتاج الأفكار الوثنيه الماديه التي غرست مثل ذلك التضليل.. وهو ما نراه أكثر فأكثر في نفس الخطاب: ويقول أربان الفرنسي:

((ذلك بأن الأرض التي تسكنوها الآن والتي تحيط بها من جميع جوانبها البحار وقلل الجبال – ضيقه لاتتسع لسكانها الكثيرين،- تكاد تعجز عن أن تجود بما يكفيهم من الطعام ..))

وهو يعكس الصراع الداخلي بين الطبقات والأشراف والأقنان – العبيد، علماً أن البابوات كانوا على رأس الإقطاعيين، ويستمر في الخطاب فيقول: ((إن أورشليم أرض لانظير لها في ثمارها ،هي فردوس المباهج..)

وهكذا تتضح الأهداف الماديه في إذكاء الصراع الصليبي. بين المسلمين والمسيحيين ..

ثالثاً - ومن الأسباب الأخرى أن المدن الإيطاليه، بيزه وجنوه والبندقيه وأملغي كانت راغبه في التوسع التجاري إلى آفاق أخرى وبلاد أوسع وهذه ولاشك تخلوا ألأخرى من أية أهداف دينيه ولايمكن أن تحسب من عناصر الصراع الديني بين الإسلام والمسيحيه.. بل هي عناصر ماديه وكفى.. ولتحقيق أهداف الحروب الصليبيه ولبث العزيمه في الشعوب المسيحيه أشاعوا على الملأ أن الأمم الإسلاميه، تضطهد المسيحيين.. واخذ الحجاج يتحدثون عن الظلم والتحقير الذي يلاقونه من المسلمين ،.

وهذا الأمر لايحسب على العناصر الدينيه أوهو مبدأ اسلامي تجاه الآخرين تعالوا نسمع معاملة الفاطميين قبل ذلك للمسيحيين، وكذلك معاملة صلاح الدين مع المجتمعات ألأخرى،، يقول و.ل ديورانت في قصة الحضاره الآتي:

((كان الفاطميون حكام مصر قد حكموا فلسطين حكماً سمحاً رحيماً استمتعت فيه الطوائف المسيحيه بحرية واسعه في ممارسة الشعائر الدينيه))*.

أما في ظلال الحروب الصليبيه التي خاضها صلاح الدين فكانت معاملته مع أعدائه، لا نظير لها كما يقول و.ل ديورانت:

أما النساء والبنات اللاتي قتل أزواجهن وأباؤهن فقد وزع عليهن من ماله الخاص ما أطلق السنتهن بحمد الله والثناء على ما عاملهن به صلاح الدين من معامله رحيمه ونبيله))..

كل ذلك يبين ولا ريب أن الإسلام والمسلمين الحقيقيين لايمكن أن يضطهدوا الغير فما كان الإسلام إلا رحمة للعالمين ،.

وكُتب التاريخ حافله بممارسات الصليبين في الديار الإسلاميه حيث عاثوا فيها فساداً وقتّلوا وذبّحوا كل من وجدوه أمامهم حين احتلوا المدن الإسلاميه وخاصه مدينة القدس..

وفي هذا يقول القس ريمند الإجيلي شاهد العيان -(وشاهدنا أشياء عجيبه إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين ،وقتل غيرهم رميا" بالسهام أو أرغموا على أن يلقوا أنفسهم من فوق الأبراج ،وظل بعضهم الآخر يعذبون عدة أيام ثم أحرقوا في النار ..

وكنت ترى في الشوارع أكوام الرؤوس والأيدي والأقدام، وكان الإنسان أينما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال والخيل وحتى النساء والأطفال طعنوا أو قتّلوا بالحراب والسيوف ..

هل ياترى هذا ماجاء من أجله المسيح.. وقد قال من قبل أحبوا أعداءكم ،.

أما المغريات الأخرى والوعود التى كانت الباعث على الحروب الصليبيه، كما صورّها وخطط لها الأباطره والبابوات ورؤساء الإقطاع ،. وهي القوى الثلاث التي تضافرت قواها لسحق الإسلام والمسلمين، بين نزعة دينيه خاليه من الحقائق ونزعة ماديه..

بغرض الحصول على ثروات البلاد التي يصلون اليها، ونزعة ثالثه سلطويه بغرض مد رقعة الهيمنه والسيطره على الأمم والشعوب،.

نعم كانت المغريات تخدم تلك القوى ومن هذه المغريات: أن كل من يخر صريعاً في الحرب قد وعُد بأن تغفرله جميع الذنوب وهذه لايملكها لا البابا ولا الإمبراطور ولاغيرهم، فلايغفر الذنوب الا الله ..

أما الإغراءات الماديه: فهي اعفاء سكان المدن من الضرائب واجّلت ديون المدينين على أن يؤدوا فائده نظير هذا التأجيل واطلق البابا سراح المسجونين، وخفف أحكام الإعدام مقابل الخدمه في فلسطين)) وعليه انضوى لهذه الحروب الظالمه العناصر الشعبيه الآتيه :

الذين يرغبون في تخليص أرض المسيح، التي ولد ومات فيها..

ومنهم من سئم الفقر الذي كان يعانيه.. ومنهم الذين يذهبون رغبة في المغامره ومنهم الذين يرغبون في تكوين اقطاعيات.. ومنهم الذين يبحثون عن أسواق أخرى للتجاره..

وهكذا نرى أن العنصر الديني في هذه الحروب هو فقط ضريح المسيح والأرض التي يوجد فيها هذا الضريح ..

وهذه لاتمت للمبادىء والقيّم الدينيه بصله لابل هي من قبيل التعصب الديني.. فكيف إذا عرفوا الحقيقه بأن المسيح لم يقتل وليس له ضريح.. ساعتها ماذا يبقى من أهدافهم غير تلك الأهداف الماديه البحته ؟؟!!

الإستشراق وأهدافه

كانت المرحله الصليبيه الأخرى في الصراع ضد الحقيقه الإسلاميه تتجه شكلاً وأسلوباً جديداً، هذه المره.. وكان مخططاً لها لتدارك الفشل وأسبابه الذي منيت به القيادات الصليبيه الأولى عبر القرون الثلاثه المتواليه ..

الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر- وهي فترات الهجوم الصليبي الشرس، والذي قاده جهابذة المكر والإستغلال، من الفئات السياسيه والدينيه والذين أنكروا مبادىء المسيح في التعامل مع الأصدقاء أو الأعداء، جملةً وتفصيلاً، أمثال أربان الفرنسي الذي حرض على الحروب الصليبيه، الأولى والتي فشلت في تحقيق أهدافها الرئيسه.. مما دعا إلى تغيير الأسلوب المادي المباشر في الصراع أما الآن فأصبح الأسلوب علمياً مدروساً..

نعم تغلب عليه الإعداد والدراسه والتخطيط والتهيئه ليسهل بعد ذلك الإجهاز على هذه الأمه.. فكانت البدايه بوسيلة الإستشراق - الذي قاده فئه من المستشرقين أو هم بمثابة الخبراء والمخططين للسياسات الصليبيه.. فكانت مهامهم الأوليه هي:

١- دراسة العدو دراسه مستفيضه ومن جميع الجوانب لمعرفة عناصر القوه والضعف في المجتمع- العدو.

٢- وضع الخطط والوسائل للإجهاز على هذه الأمه، الوسائل الماديه منها وغير الماديه.

٣- التعرف على الطوائف والأحزاب والفرق في المجتمعات الإسلاميه لإذكاء روح الفتنه بينها لتشتيت الأمه الإسلاميه ..

٤- تحريف القيّم في التراث الإسلامي لسلب الإنسان المسلم منه شخصيته الحقيقيه.

انشاء الجمعيات التبشيريه

١- جمعيه لتشجيع الدراسات الشرقيه بلندن وأصدرت مجلة الجمعيه الأسيويه، الملكيه .

٢- الجمعيه الشرقيه الأمريكيه سنة ١٨٤٢ .

٣- جمعيه للمستشرقين الفرنسيين .

ثم انشاء مجلات خاصه بالمستشرقين ومن بين المجلات التي صدرت لتحقيق هذه الأغراض ما يلي:-

مجلة جمعية الدراسات الشرقيه في مدينه جامبير بولايه أهايو.

مجلة الشرق الأوسط.. ومجلة العالم الإسلامي- التي أنشأها صمويل زويمر سنة ١٩١١.

واصدار دائرة المعارف الإسلاميه بعدة لغات، وذلك ليسهل عليهم تحريف وتبديل محتويات هذه المعارف وما تحويه من تراث وقيّم اسلاميه.. وهناك غير الوسائل المذكوره توجد الوسائل الأخرى المتمثله بالمؤتمرات الدوليه.. من أجل

وضع الدراسات والخطط لتحقيق الأهداف المرسومه ومن بين المؤتمرات التي عقدت لهذا الشأن.. [١]

مؤتمر القاهره عام ١٩٠٦ ومؤتمر في بيروت عام ١٩١١ ومؤتمرات في القدس عام ١٩٢٤ وآخر ١٩٣٥.

وفي أمستردام بهولندا عام ١٩٤٨ ومؤتمر إيفانستون بأمريكا ١٩٥٤ وفي نيودلهي ١٩٦١ في الهند ومؤتمر في أوفتالا عام ١٩٦٨ بأوروبا، وغيرها كثير، أما هذه فهي على سبيل الأمثله.. والحق، هناك وسائل أخرى كثيره غير ماذكرناه، ومنها وسيلة التبشير..

****

(١). الفكر الإسلامي الحديث/ محمد البهي/ص٥٣٢

التبشير

أما المرحله المتقدمه في عملية الإستشراق هذه؛ فهي المتابعه والتنفيذ لكل الدراسات والخطط التي وضعها المستشرقون وهذه تسمى المرحله التبشيريه ..

وهي قائمه على معطيات وضعها الأوائل من الخبراء الذين أسميناهم المستشرقين وهذه المرحله التنفيذيه ؛تأتي هي الأخرى بأشكال وأساليب شعبيه ومنها الوسائل الآتيه:

المدارس: لتعليم الاطفال اللغات الاجنبيه وصرف الأموال الباهظه عليهم من أجل الأخذ بعقولهم وتحويلهم عن القيّم الإسلاميه، والتربيه الإسلاميه وغرس النزعه الأجنبيه في أذهانهم عن طريق تمجيد الحضاره الغربيه والتقدم الذي أحرزه الغرب في مجال العلوم والتكنولوجيا.

المستشفيات: وذلك بالمعالجه المجانيه في أغلب الأحيان وذلك لتحويل الناس عن أهدافهم الأساسيه، واعطائهم الإنطباع أن المسيحيه وحدها تقوم بمثل هذه الأعمال المجانيه وذلك خدمةً للإنسانيه، وهي تخفي في زواياها أهدافاً تبشيريه بين الحين والأخر وذلك عند عقد الندوات والمؤتمرات في المدارس والمستشفيات وكذا الجامعات.

الجامعات: وهذا أيضاً اسلوب له فضل كبير بالترويج للحضاره الأوروبيه والقيم الغربيه لنزع الشباب من تأييدها لأمتها إلى تأييد الأمم الغربيه المتقدمه وزرع أفكاراً استعماريه في أذهانهم والإيحاء لهم بفضل الحضاره الأوربيه على المجتمعات الإسلاميه ويُظهرون أن الإسلام هو سبب تخلف المسلمين.،

وكل ذلك كان له أثر كبير في تدعيم سلطة الإستعمار، وظهور الحركات الدينيه المؤيده للإستعمار..

..ولحضارة الغرب الإستعماري، ومن أمثال الذين روجوا للإستعمار في البلاد الإسلاميه من المسلمين، كان على رأسهم كما يقول الدكتور محمد البهي في كتابه الفكر الإسلامي وصلته بالإستعمار الغربي.. هو الزعيم الهندي المسلم سيد أحمد خان*(١)..

الذي أغرته الحضاره الأوربيه، وافتتن بالعلم الطبيعي تحت وطأة الحركات التبشيريه والإستشراقيه المتواصله – الذي كان له المردود المعاكس في الإتجاه القِيمي والروحي التي هي أسمى الأهداف الدينيه،.

وهناك شخص آخر ادعي بأنه المهدي المنتظر وهو ميرزا غلام أحمد ويدّعي أن فيه حل عيسى ومحمد عليهما السلام *(٢).

والملاحظ أن نتائج التبشير والإستشراق كانت لصالح الفكر الإستعماري المادي، ولم يطرأ ولو تقدم بسيط في المجال الروحي الذي دعا اليه المسيح ،من محبة الاصدقاء والأعداء على حد سواء ..

هذا على افتراض أن الأمه الإسلاميه عدوه تقليديه للمسيحيين كما تُصَوِر ذلك الحركات الإستعماريه بمساعدة المبشرين والمستشرقين، إن هذا لم يكن يوماً ما هدفاً من أهداف المسيح الذي جاء بشرى للأمم برسالة رسول من بعده اسمه أحمد.، ومثل ذلك حدث في البلاد العربيه الإسلاميه ..

والحق، نحن لم نكن في موقف نحسد عليه لأن الأمور تغيرت رأساً على عقب بعد استلام الإستعمار دفة القياده والمسؤوليه في بلادنا والتى أطال عمرها بالنار والحديد وبتغيير كل المؤسسات الإجتماعيه والثقافيه والإقتصاديه في

(١). انظر الفكر الإسلامي الحديث محمد البهي ص ٢٠

(٢). انظر المصدر نفسه ص٣٦

المجتمعات العربيه والإسلاميه، وكل هذه المحاولات والأجهزه التبشيريه والإستشراقيه تجتمع على أهداف واحده ذكرنا بعضاً منها ونذكر شيئاً منها الآن..

أن القرآن من صنع محمد وتأليفه،وأنه مشتق من المسيحيه أو اليهوديه.[1]

وأن الإسلام (دين ماده وترف ولهو) أما المسيحيه فهي دين الحريه والعلم والسلام.* وأن الإسلام يفرق ولايجمع فهناك عدة إسلامات، إسلام للشيعه وآخر للسنه وآخر لمذهب المالكيه وأخيراً مذهب الحنابله.*[2]

وطبعاً الهدف من كل ذلك، تفريغ الإسلام من مضمونه العقائدي والقيّمي الذي كان سلاح المسلم وعدته، في مقارعة الأعداء.. فما انتصر الرسول يوماً بالقوة الماديه، وهو لايملك منها إلا القليل.. القليل. ولكن انتصر بالقوه الروحيه وبالعقيده والقيّم والأخلاق وبالموعظة الحسنه ..

كل ذلك كان عُدد الرسول وعُدته وأما ما يروّج له المبشرون فهو محض افتراء ولا يمت للحقيقه بصله.. وقد نكون قد افترينا على المبشرين أو المستشرقين، ولكن الحقائق التي أمامنا واعترافاتهم تُفصح عما في صدورهم من كيد وحقد على هذه الأمه، ولكن في زحمة ذلك التضليل، لاننسى فضل أولئك المستشرقين الذين يبحثون عن الحقيقة ليس إلا فهؤلاء أسلم منهم الكثير..

حين بانت لهم الحقيقه الساطعه، أما الآن نطالع بعضاً من افتراءات المستشرقين، والمبشرين من الإسلام.

****

(١). انظر المصدر السابق ص٦٦

(٢). انظر المصدر نفسه ص٧٠

موقف بعض المستشرقين من الإسلام

لكي تنجح المجهودات المتكامله من قبل الهيئات الصليبيه المتمثله بمختلف الإتجاهات والقوى والتي قامت بها من حيث الدراسه والتخطيط والإعداد،. نعم، لكي تتحقق الاهداف بكاملها كان لابدمن التهيئه النفسيه لهذا المشروع الضخم والعمل على الحط من القيمه الروحيه للإسلام لأن روح الإسلام هي القوه الحقيقيه التي اعتمد عليها رسول الإسلام في تحقيق الحقيقه الإسلاميه في المجتمعات والأمصار حتى وصلت حدود أوروبا غرباً وحدود الصين شرقاً..

نعم، كان الهدف هو تمزيق هذه القيمه عن طريق تمزيق وحدة المسلمين فكانت المحاولات متواصله من أجل هذا الهدف من شتى المستشرقين.. **فهذا المستشرق الفرنسي كيمون***:[1]

رأى أن ينهش من جانب الجسد الإسلامي برمته فقال:
وهو يصوّر للناس معنى الإسلام وبأنه مرض خطير جاء لعلاجه، هو فيقول أيضاً: ((إن الديانه المحمديه جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً بل هو مرض مريع وشلل عام. إلى آخر المقاله المملوءه بالسموم والحقد على هذه الأمه لابل على الحقيقه الإسلاميه برمتها..

أما الذين طعنوا في الجماعات الإسلاميه وصفاتهم وأخلاقهم فكان على رأسهم جيسب الامريكي الذي يقول:

---

(١). انظر / المصدر السابق ص٦٧

***يقول جيسب الأمريكي :-**

((المسلمون لايفهمون الأديان ولا يقدّرونها حق قدرها إنهم لصوص وقتله ومتأخرون وإن التبشير سيعمل على تمدينهم))*[1].

ترى أين وجد هذا المبشر هذا النفر القليل من المسلمين الذين عناهم هذا المستشرق في مقالته تلك، لاشك أنهم من طينته وممن تستهويهم الحانات والمواخير ودكاكين القمار..

وهم ولاشك على شاكلته، لابل هم الذين روّجوا له ولسياسته مقابل حفنه من المال، نحن لانقول لايوجد مثل هذا النفر والا لما وجد الإستعمار أصلاً..

وهؤلاء الأشكال من المبشرين والمستشرقين الذين اعتمدوا لا بل جل اعتمادهم على مثل هؤلاء الأنذال.. أما المؤمن الحق فلا يتخذ من الكافرين أولياء، قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:٢٨].

فالمؤمن الحقيقي، يقدّر الاديان حق قدرها ويفهمها فهماً جيداً وأنها تمثل سلسله واحده وهدفها واحداً وأنها من مصدر واحد..

نعم المؤمن الحق يفهم الدين المسيحي الحقيقي بنفس القدر الذي يفهم فيه الإسلام ولا يحط من قدره، ويرى أن الذي في المسيحيه موجود مثله في القرآن، وما دام القرآن خاتم الرسالات..

وهو أشملها وأكملها فمن باب أولى أن ينضوي تحت لواء القرآن وسمائه..

(١). انظر/الفكر الإسلامي الحديث/ محمد البهي /ص٥٢٩

والحق، إن الهدف هو تمزيق الأمه التي تجتمع على كلمة واحده وهذا واحد آخر، يفصح عن جليّة الأمر بصراحة أكثر وهو يقول: ((إذا اتحد المسلمون في امبراطوريه عربيه أمكن أن يصبحوا لعنه على العالم، وخطرا..))*.[1]

وبذا هم يحرضون الأمم الأخرى ليس على المسلمين، بل يخصون العرب منهم، وكأن هذا يرى بضرب الأمه العربيه قمة الإنتصار على الإسلام ..

ويغمز من طرف خفي للأمم والشعوب بأن تتحالف من أجل تحقيق هذا الهدف والالما تضافرت جهود التتار وهم من الشرق مع البابويه وهم من الغرب لسحق الإسلام ودولة الإسلام عام ١٢٥٤م.

ويفصح القس: **(كالهون سيمون)** عن رغبة التبشير القويه في تفريق المسلمين بقوله:

(إن الوحده الإسلاميه تجمع أماني الشعوب السود وتساعدهم على التخلص من السيطره الأوروبيه ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركات (أو التوجهات) ذلك لأن التبشير يعمل على اظهار الأوروبين في ثوب جديد جذاب، وعلى سلب الحركه الإسلاميه من عنصر القوه المتمركز فيها *.[2]

ولكن نحن نقول، لم تكن يوماً ما وحدة العرب أو المسلمين في دولة واحده لتشكل أي خطر على أية دولة في العالم، لا بل العكس هو الذي حصل،.

والحمد لله فالتجربة الإسلاميه وقعت وحصلت والنتائج تشهد عليها آثارها في الأندلس والهند والصين، أي من أقصى الغرب الى أقصى الشرق..

---

(١). الفكر الإسلامي الحديث/محمد البهي/ص٥٢٥/عن الإسلام والإرساليات /لورنس براون/ص٤٤-٤٨

(٢). المصدر نفسه/ ص٥٢٦/ عن (كتاب التبشير والإستعمار) ص٣٢

وفوق كل ذلك، كانت نتائج الوحده الإسلاميه هو حرية الشعوب وازدهارها علمياً وثقافياً ومن ثم نشر العدل في ربوع العالم الذي وصلته الحقيقه الإسلاميه..

أما الذين تعرضوا للقرآن وقللوا من أهميته أو قالوا هو من صنع محمد، كان على رأسهم.. نيكلسون في **كتابه الصوفيه في الإسلام: ص٧-٨**

((والقارئون للقرآن من الأوروبين لا تعوزهم الدهشه من اضطراب مؤلفه محمد وعدم تماسكه في معالجة كبار المعضلات))*[١]

أما المستشرق المشهور الإنجليزي (جب) يقول في نفس السياق :*

((أن القرآن ليس من عند الله بل هو من صنع محمد وتأليفه وها هو يقول:

((إن محمداً ككل شخصيه مبدعه قد تأثر بضرورات الظروف الخارجه عنه المحيطه به من جهه ثم هو من جهة أخرى قد شق طريقاً جديداً بين الأفكار والعقائد السائده في زمانه))*.[٢]

ويقول رينان* عن عقيدة التوحيد في الإسلام (بأنها تضع المسلم في حيره وتحط به الى أسفل الدرك))*[٣].

ومن بين التضليل الذي يلجأ إليه المبشرون تفسير مجلة العالم الإسلامي (الىالله المصير) فيقول إن إله الإسلام متكبر جبار مترفع عن البشريه بينما إله المسيحيه عطوف متواضع يتواد للناس..*[٤]

---

(١). انظر الفكر الإسلامي الحديث ص٢١٣ محمد البهي

(٢). انظر المصدر السابق ص٢٢٦

(٣). المصدر السبق ص ٥٣

(٤). انظر المصدر السبق ص٥٦

هل ياترى كل ذلك من أفكار ومبادىء هي ماجاء به المبشرون والمستشرقون لبثها في عقول المسلمين، وهم كانت أهدافهم الأساسيه.. أولاً الحط من الدين الإسلامي الذي صهر العالم في بوتقة واحده، ولم يفرق فيها بين أسود وأبيض وعربي وأعجمي،.

وتقبلته البشريه في كل الاصقاع وها هي آثاره مازالت بين المسلمين في الصين وروسيا والهند وكذا في أمريكا وأوروبا..

أم جاؤا للتشهير بالقرآن والرساله الإسلاميه، وهي التي مانجحوا في تحريفها يوماً ما رغم كل المحاولات، وبعد مرور هذه السنون،، وهوما لبث ناصعاً، لاينالة تحريف أوتبديل ..

والحق، إن حقدهم على القرآن قاله ((وليم جيرفورد)) حيث يقول: ((متى توارى القرآن ومكه من بلاد العرب حينئذ نرى العربي يندرج في سبيل الحضاره الغربيه)).*

أما القسيس زويمر، فيقول للمبشرين لاتقنطوا من نتيجة التبشير إن كانت ضعيفه.)*.وهكذا هم جادون في محاربة الحقيقه الإسلاميه..

الإستعمار الصليبي

كان الإستعمار قمة الأهداف التبشيريه لابل على رأسها وما قامت فكرة الإستشراق –بادىء ذي بدء– وبعدها التبشير إلا من أجل التمهيد لهذا العمل وكأنه قمة الإنتصار لديهم، كيف لا وهو هدف مشترك لمراكز القوى الثلاث الممثله في السلطه الدينيه أولاً والسياسيه، ثانياً وسلطة رأس المال.. وهذا هو الثالوث الفرعوني القديم يتجدد دائماً.. فإذا تحققت أهداف الإستعمار الصليبي تكون قد تحققت أهداف القوى الثلاثه السالفة الذكر..

فمن ناحيه، وبعد ظهور ظاهرة الإستعمار التي روّج لها المستشرقون وهيأوا لها كل الأجواء، وبشر بظهورها المبشرون.. تدعّمت أكثر فأكثر الظاهره الإستشراقيه نفسها، وأُرسلت جماهير غفيره من المبشرين الى المجتمعات الإسلاميه والدول الأخرى، في آسيا وأفريقيا بقصد استمرار السيطره والهيمنه على الشعوب خاصه الإسلاميه منها. والناحيه الأخرى، هي تحسين وجه الإستعمار من قبل المبشرين والمستشرقين، حتى صوّروا هذه الظاهره ..

أنها لرفع مستوى حياة الدول والأفراد التي جاءها الإستعمار لابل هي الوصي الرشيد على هذه الدول المتخلفه – في عرفهم..

فكانت النتائج سلبيه لابل أدت الى تفاقم الأوضاع في المجتمعات الإسلاميه والعربيه والمجتمعات الناميه، والفقيره عامه.. فكان الإستعمار كابوس رهيب جثم على صدر هذه المجتمعات لم تتخلص منه الابعد تضحيات جمه..

فبدل أن يجلبوا العدل والمساواه والمحبه والعلم والتقدم الذي وعدوا به، بدل ذلك كرسوا الظلم والمحاباه والتسلط والجهل بين الناس.. أما المجالات التي خطط لها الإستعمار وحقق بها أهداف المستشرقين والمبشرين والمستعمرين فهي:

أولاً– المجال السياسي: فقد انتزع القرار من اصحاب الشأن وفرضت قوى الإستعمار هيمنتها على الشعوب الإسلاميه فكانت فرصتها للإذلال، وتنفيس الأحقاد الصليبيه التي لبثت في الصدور قرون عديده.. فأذلت الأفراد كما اذلت الدول والشعوب الإسلاميه ونشرت في ربوع الأمه الرعب والظلم والخوف والتسلط..

فاصبح الحكم لأفراد معينيين من قبل المركزيه الإستعماريه، مع مشاركة أزلامهم المختارين من قوى الظلم،والإستغلال من عبدة المال والشهوات،.

فأكثروا في الارض الفساد وطغوا في البلاد، وأزاحوا الحقيقه الإسلاميه من طريقهم سواء في الحكم أوغيره..

فكانت المصالح، كل المصالح بأيدي المستعمرين وتلامذتهم الذين تلقفوا الفكر الإستشراقي القائم على الوثنيه الماديه، والطغيان الكهنوتي الذي لفظته أوروبا ساعة تسلطه ووضعته في حجم لايكاد فيه يبين.. فكان الفشل الذي حصدته سلطة الكنيسه في الإمبراطوريات الغربيه ساعة انفصالها عن الدوله.. كل ذلك أرادت أن تعيد لها بعض المجد في الجيوب والمستعمرات الغربيه وهي حامله معها أتعس التوجهات،.

للتبشير بها في المجتمعات الإسلاميه وغير الإسلاميه فالذي لاتصله الأفكار الصليبيه المحرفه تصله السلطه الدينيه المتعجرفه المنقوله من التوجهات الغربيه والتسلط الكنسي الآفل..

وكان له أثر كبير في المجتمعات الإسلاميه، حين تفرقت شيَعاً وأحزاباً فدخلها الطغيان الديني الذي ما أنزل الله به من سلطان..، من مثل تأليه الإنسان أو المسئول السياسي والديني والذي زرع الرعب بين النفوس لكل من يخالفها..

وفي المجال الثقافي

كان الحصاد من جنس البذور المغروسه إذ بعد مجهودات لاحدود لها،من المبشرين والمستعمرين والمستشرقين في هذا المجال استطاعوا أن ينفذوا الى البنيان الثقافي العربي والإسلامي وذلك ..

أولاً- عن طريق اللغه، لأنها سلك الكهرباء الموصول بلغة القرآن وهو الهدف الرئيس الذي يسعون الى تقطيع أوصاله، وحدث مثل ذلك في الجزائر لفرنسة الأمه عامةً والأفراد خاصةً، ونجحوا في ذلك نجاحاً باهراً.. حتى أصبحت أجيال وأجيال لا تنطق إلابالفرنسيه، لولا لطف الله وتحررها من هذا الكابوس اللعين ومثل ذلك حدث في تونس ولبنان وسوريا..الخ

أما في دول الإستعمار الإنجليزي – مثل مصر والسودان والأردن وفلسطين والعراق..الخ

فقد تركزت الجهود على اللغه الإنجليزيه والفرنسيه أحياناً، وكل ذلك في سبيل تحقيق أهداف المبشرين والمستشرقين الذين عرفنا شيئاً من أهدافهم نطقوا بها على رؤوس الأشهاد،.

من دعوتهم إلى تفكيك الأمم وإبعادها عن مراكز قوتها، ومبادىء دينها ليسهل بالتالي وضعها في المنزلقات الغربيه التائهه،. لتعبد الشيطان والوثنيه، ولتنسى الحقيقه الإسلاميه والفكر الروحي الإسلامي الذي يخدم الدنيا والدين سواء بسواء. وعلى ذلك ومن أجل ذلك أقامت المعاهد اللغويه والتبشيريه.،

لتبشر الناس بالمبادىء الغربيه التي انسلخت عن الدين والتي منها المسيح براء..

ولكي تبقى الصوره معتمه، أيضاً حُرّقت الكتب التي نالتها القوى الإستعماريه والتبشيريه إلا أنها وإن استطاعت الوصول إلى التراث الإسلامي.. والشروحات الإسلاميه وبعض الأحاديث النبويه، إلا أنها لم ولن تصل قط للكتاب الإسلامي المقدس – القرآن الكريم..

فهذا محفوظ في الكتب أولاً وفي الصدور ثانياَ، وهو جاهز دائماً للإنبعاث والتطبيق، ساعة الناس تشاء.. صحيح أن خسارتنا كبيره في المجال الثقافي ولكن عزاؤنا دائماً في بقاء القرآن ناصع البياض لايمسه إلا المطهرون، لنفيق به ومن أجله ساعة تحين الفرص..

ثانياً– أما المجال الآخر الذي تناوشته أيدي الغرباء، الصليبين فكانت القيم والاخلاق الإسلاميه فكان لابد من الإجهاز عليها، وفعلاً انتشرت الماديه وحب الشهوات والرذيله وشرب الخمر..

في ثنايا المجتمعات الإسلاميه، فكانت الخساره عظيمه والمصاب جلل ولازلنا نقطف نتائج هذا الإنحراف الأخلاقي ..

وبذا هيكل المجتمع الإسلامي تغّير بالكامل على أيدي الغرباء المبشرين فلم ياتوا بماوعدونا به من البشائر والحب والأخلاق العظيمه التي جاء بها المسيح ..

والذي كان قمتةً في التسامح والعفو والصفح ونحن لم نلق منهم الا التدمير الشامل لكل شيء في الحياة جميل.، فنحن صدّرنا القيّم والأخلاق وحسن المعامله وهم صدروا لنا الموبقات وحب الملذات والشهوات.. وذلك لتكريس الوثنيه التي حاربها المسيح، وما زالت آثارهم تشهد على ما فعلت أيديهم بالأمم والشعوب،.

ونحن أيضاً مازلنا نعاني من رواسب استعمارهم وحقدهم الأسود على الحقيقه الإسلاميه، وهنا نؤكد ونقول أن المسيح من ذلك براء، ..ورسله وأعوانه وأتباعه الحقيقين يسخطون من هذا الفعل الصليبي الأحمق الذي أنكرته قوى الحق في بلادهم من قبل، ومن بعد..

أما في المجال الإقتصادي

فكان المصاب كبيراً، لأن كل الثروات المدّخره قد وضع الإستعمار يده عليها ونهبها نهباً لم تفيق على أثره الأمه، فعانت الفقر والمسغبه والجوع، وكرست الرأسماليه المقيته، ونقلت الطغيان الإقطاعي الرأسمالي من أوروبا إلى المجتمعات الإسلاميه فزاد الفقير فقراً والغني غنىً..

حتى الحكومات العربيه والإسلاميه كانت رغم ثرواتها تعاني الضعف في البنيه الإقتصاديه ..

وحرمت عليهم التصنيع لأنه لايخدم الهدف الروحي للرسالات السماويه وهو أساس الطغيان، هكذا صوّر المستشرقون والمبشرون الأمور في مجتمعاتنا فحللوا لهم التصنيع والتقدم والبناء والعمران وحرموه علينا وعلى الأمم الناميه،.

بسبة أن ذلك معاكس لمطالب السماء وكانهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه ..

الحق صراعنا لم يكن يوماً صراع عقائد، إنه صراع مع الطغيان الوثني المادي الذي كان نتاج مبادىء محرفه لم تنطق بها شريعه السماء ولا شريعة في الأرض،وهكذا كانت تجربتنا مع قادة الحملات الصليبيه مريره ومع دعاة الشرك والألوهيه والوثنيه..

أكثر من مريره، فكانت هذه حالنا ضعف في البنيان السياسي والتشريع الحكومي وضعف في البنيان الثقافي وكذا في البنيان الإقتصادي.. وكل التشريعات الخاصه بذلك تغذي البنيان المادي الإستهلاكي ويكرس الآمال المؤقته على الطموحات المستقبليه ..

* * * * * * * * * *

الفصل الخامس

اسس الحوار الإسلامي المسيحي

وقبل أن نبدا بالحوار الإسلامي المسيحي لابد أن نتساءل، هل الحوار سيكون مع أبناء المسيحيه ذاتها التي جاء بها المسيح أو مع المسيحيين الذين جاءت بهم الوثنيه الماديه حتى أن البعض ضمن هذا السياق خلط خلطاً كبيراً..

فأعلن أن المسيحيين كانوا موجودين قبل مجيء المسيح نفسه، ولا أدري هل كان ذلك من ممارساتهم التي تشبه إلى حد كبير الذين سبقوهم من الأمم الأولى والتي خضعت للنظام الوثني كما هو وارد في اشارة و.ل ديورانت في قصة الحضاره:

(إن المسيحيه لم تقضي على الوثنيه بل تبنتها)*[1] .

ذلك أن العقل اليوناني المحتضر عاد إلى الحياه في صورة جديده في لاهوت الكنيسه وطقوسها، وفي مثل هذا القول تأكيد واضح على النكوص التاريخي نحو الوثنيه، وهذا أمر شديد الخطوره ولايقبل به أصحاب الأديان الحقيقيين الذين صارعوا الوثنيه منذ البدء.

وعليه لابد أن تكون هذه الإشارات إلى الوثنيه الماديه التي تغلغلت في الكتاب المقدس–المسيحي، وفعلاً هي إشاره جديره بالإهتمام لانها أبعدت المسيحيه والمسيحيين.. عن التوجه الأساسي لرسالة المسيح التي كان عمودها الفقري التوحيد ونكران الذات والزهد في الحياة الدنيا.. فهؤلاء هم الذين نقصدهم بالحوار وعلى أسس علميه دينيه عقليه مستنده إلى أساسات ..

---

(١). انظر قصة الحضاره و.ل ديورانت ص٢٧٥

لاتقبل الشك أو الجدل البيزنطي.. وعليه لابد أن نطرح أدوات الحوار ومعاييره إن كنا نريد نتيجه حاسمه في هذا الصدد. والأدوات هي:

الكتب المقدسه لمعرفة الغيب وماوراء الطبيعه وهذا أساسي لابد منه حتى يكون الحوار جدير بالإعتبار من أجل الوصول للحقيقه الكبرى – وهي الأهم في فرز الأعمال والأخلاق والقيّم..الخ والكتب المقدسه هي التوراه والإنجيل والقرآن، ومن ثم دراستها لمعرفة أحقيتها كمستند صدق للحوار يمكن الركون اليه..

ساعتها نرى ولاريب أحقية القرآن في هذا المجال لأكثر من سبب ربما ذكرنا الكثير منها ضمن هذه الدراسه، وأهمها أنه لاتبديل فيه ولاتغيير وهوكتاب واحد، بعكس الكتب الأخرى، وهو لايهضم حق أحد سواءً إن كان مسيحياً أو يهودياً أوغير ذلك فهو يدعو إلى الإيمان بكل الكتب وبكل الأنبياء.

أما الكتب الأخرى فهي ضعيفه لاتصلح لأن تكون مستنداً حاسماً في هذا الصدد لأنها متعدده ..

وقد عرفنا رأي بعض المفكرين الغربيين حول النسخه الأصليه للإنجيل فهي مفقوده وغير موجوده، وأن مايحويه الكتاب المقدس الإنجيل ليس إلا قصص تاريخ المسيح وبعضاً من مواعظه ممزوجه بتوجهات إنسانيه أدبيه عامه،.

الأمر الذي يعترف به الجميع وأن المسيحيه توجه فردي تلمس أخلاق الفرد وليس من الضروره أن يعكس ذلك على التوجه الإجتماعي، وتُوج ذلك بعدم الإنسجام مع الدوله وتم الإنفصال فيما بين الدين والدوله إلى الابد..

وقد حصلت بدايات إصلاحيه قادها مفكرون اصلاحيون من العالم المسيحي، وهي كانت بمثابة اعتراضاً على التوجهات المسيحيه الرسميه التي كانت نتاج الأساس النظري العقيدي الذي أسس بنيانه بولس الرسول..

ولم تظهر الثوره الاصلاحيه على حقيقتها الابعد أن ترسخ البنيان المسيحي النظري العقيدي على أسس بولسيه بحته لاندري علاقتها الحقيقيه بالنص الإلهي –

أي الوحي الذي جاء به إنجيل المسيح الحقيقي، وإلا لما بدا التناقض بين السلطه الدينيه والتجمعات الشعبيه بالإزدياد وعلى رأس ذلك المثقفين أو المفكرين منهم..

والحق، هم كانوا على حق في فعلهم ذلك لأن الأمور انقلبت رأساً على عقب فبدل أن يتحرر الإنسان..

وضعت عليه قيوداً في الفكر والإعتقاد.، وتحول إلى إنسان مادي وغابت الروحانيه الحقيقيه في توجهات المسيح لابل ضاعت الحقيقه الكبرى في زحمة الماديات.. أين معرفة الله الواحد الأحد في هذا الزخم الحياتي المملوء بالشهوه واللهو والترف..

فالتحولات الخطيره التي حدثت في بنيان المسيحيه نراها قد أحدثت ردود فعل قويه في أوساط المثقفين، وسيّما المفكرين منهم، ولما وصل التناقض بين الفئات الدينيه والثقافيه ذروته بافتعال بدع وشعائر ما أنزل الله بها من سلطان جأر هؤلاء المثقفون بأصواتهم..

التي كانت مبحوحه وصامته وهم يرون الإنحرافات تجري على مسمع ومرأى الجميع .....

أما حين وصلت الأمور إلى البدع العمليه، كانت الثوره والدعوه للإصلاح، وسيّما بعد الحروب الصليبيه واحتكاك الغرب بالشرق الإسلامي، والإضطلاع على بعض المبادىء الإسلاميه

ولكن تأثير حركة الإصلاح الديني في المسيحيه لم يكن أمراً كبيراً في البدايه، وذلك لأنها لم تتطرق إلى أسس العقيده..

التي حُرّفت من قبل، مثل الصلب والتثليث والألوهيه.. وكل ماهنالك أن حركة الإصلاح الديني قد طالت البدع والأباطيل من مثل..

حق الغفران، والصكوك وعصمة البابا، واحتكار تفسير الكتاب المقدس من قبل الكنيسه فقط..

والسبب أن هذه البدع وضعت المسيحيه على المحك والتطبيق، وأما البنيان فهو خاوٍ من أساسه، لأن الأساس والعقيده أيضاً خاويين،.

والتطبيق جاء ترجمه عمليه للنظريه والمبدأ والاساس الضعيف لابد أن تكون نتائجه ضعيفه، تتخللها الإنحرافات والأباطيل، والسبب أن الفرصه والمبادره نُقلت الى الإنسان جملةً وتفصيلاً.

ولكن الرسالات والرسل ما جاءوا إلا لهداية الإنسان، وكل ذلك ماكان ليكون لولا ضعف الإنسان ونقصانه وخضوعه لآفة الخطأ والنسيان وهذا يناقض عصمة الإنسان أياً كان، إلا الأنبياء.

حركة الإصلاح الديني

والحق لم تمر الحركه الإصلاحيه بسلام لأن الكنيسه كانت قد رسخت أقدامها فكراً وتطبيقاً وتغلغلت في الطبقات المختلفه وأمسكت بزمام الأمور الدينيه والدنيويه..

وفعلاً كان اشهر قادة الإصلاح في القرن الخامس عشر، كما يقول الدكتور أحمد شلبي هو: جيرم وهوس*[1]هؤلاء أعدما حرقاً بالنار ..

---

(١). انظر المسيحيه/ أحمد شلبي /٢٥٨

أما مصلحي القرن السادس عشر، وفي انجلترا مثلاً كان توماس مور الذي نادى بالإصلاح السلمي، وأما أشهرهم على الإطلاق فكان مارتن لوثر من المانيا، الذي هاله ما رأى من مساوىء الكنيسه وبدعها وممارساتها، من حق الغفران والحرمان، حتى ولو كان المحروم ورعاً تقياً فقط هو وقف ضد البابا أو الكنيسه، عليه لابد أن يستحق الحرمان..

والعكس صحيح في حالة الغفران، فمهما مارس الشخص من الموبقات والفواحش وطلب العفو والغفران ..

على طبق من الرضوخ والعبوديه لتعاليم الكنيسه فلا بد أن تمنح له الصكوك مقابل هذا الرضوخ..

وقد حوكم مارتن لوثر في محاكم التفتيش لاحتجاجه على هذه الصكوك وأصدرت هذه حكماً بحرمانه منها وأباحت دمه.. ولكن الحركه لم تنته بل تزايد نفوذها..

وأنشأت فيما بعد كنائس خاصه باسمها كحل وسط، أو نتيجه نهائيه لحركة الإصلاح ولكنها لم تصل إلى الأهداف المرجوه.. وهي تقويض أركان الكنيسه السالفة الذكر.

وأهم ركن فيها هو الركن العقيدي المتمثل بالإشراك أو مبدأ الوهية المسيح ذاته أو هو شريك مع الله في الملك والقدره..

وهذه القضيه التوحيديه هي التي أحدثت انعطافاً خطيراً في المسيحيه وأججت مشاعر المثقفين أو المتدينين الأحرار الذين جاروا بأصواتهم ضد هذا التوجه الإلحادي وعلى رأس أولئك أريوس الإسكندري..

والحق هذه قضيه مشهوره وجدتها في الكتب العربيه ممن كتبوها عرب أوكتب أجنبيه كتبوها أجانب غربيين، وكان ذكرهم لها من باب التذكير ببعض الصراعات والثورات داخل المسيحيه أو ضمن الأعمال الإلحاديه - برأيهم..

ولنسمع أولاً مقالة و.ل .ديورانت حول هذه القصه ولانريد سردها من البدايه ولكن مجمل القول هو:

((أن أريوس هذا قال، إن المسيح لم يكن هو والخالق شيئاً واحداً، بل كان هو الكلمه أول الكائنات التي خلقها الله وأسماها ..

واحتج الأسقف الكسندر على هذا القول ولكن أريوس أصر عليه وقال إنه إذا كان الإبن من نسل الأب فلا بد أن تكون ولادته قد حدثت في زمن آخر وعلى هذا لايمكن أن يكون الإبن متفقاً مع الأب في الزمن ، ويضاف إلى هذا أنه-إذا كان المسيح قد خلق فلابد أن يكون خلقه من لاشيء أي من غير مادة الاب..الخ*.[1]

والحق، كان ذلك ثوره عارمه على ألوهية المسيح، وهوالأساس العقيدي الأول في البنيان المسيحي الذي أرسى دعائمه بولس، أما ما أورده أحمد شلبي في كتابه المسيحيه: فتقريباً هو نفس الشيء، من إنكار أريوس ألوهية المسيح جملةً وتفصيلاً وذلك بمجمع نيقيه سنة ٣٢٥ حين احتدم الصراع حول ألوهية المسيح وكان عدد المجتمعين كما يقول أحمد شلبي ٢٠٤٨، وفي هذا الإجتماع صاح العالم المصري أريوس صيحته التي كان يرددها دائماً...

((إن الأب وحده الله والإبن مخلوق مصنوع وقد كان الأب ولم يكن الإبن، وتضاربت آراء المجتمعين واختلفوا ولم يستطيعوا أن يصلوا الى قرار ويعلق في نفس الكتاب عبد الأحد داود على ذلك ضمن الهامش فيقول:*[2]

---

(١). انظر المسيحيه أحمد شلبي ص١٤٧

(٢). انظر المسيحيه الهامش- أحمد شلبي ص١٤٣

لماذا لم ينزل الروح القدس على المجتمعين فيهديهم سواء السبيل؟ ((لأن كاتب رسالة أعمال الرسل زعم أن الروح القدس ينزل كلما حزب أمر)). ولا اعتقد أن هناك أمراً خطيراً أخطر من هذا الأمر .

وخلاصة القول: عوقب أريوس بالقتل مع بعض مؤيديه واجتمع الأعضاء القائلون بالإلوهيه للمسيح، وبالتثليث وهم ٣١٨ عضواً وأصدروا قرارهم المشهور، وهذا نص القرار:

نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء وصانع ما لايرى وما يرى، وبالإبن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد..

وهكذا، وجد من بين المسيحيين أنفسهم من يؤمن بالتوحيد الإلهي وهي الحقيقه الإسلاميه الساطعه في دنيا الإسلام ومن ثم هي التي فجّرت أسس الحوار الإسلامي المسيحي، فكان هذا هو أساس الحوار وهو التوحيد بكلمة سواء.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [آل عمران:٦٤].

وهكذا وضع القرآن مفتاح الحوار بين الأديان والشرائع السماويه كلها على كلمة: (لاإله إلاالله محمد رسول الله)..

وهذه أوجدت أفقاً رحباً لأمثال أريوس وغير أريوس للدخول في دين الله الإسلام.. وقبل أن نبدأ الحوار على أساس كلمة سواء وهي كلمة (الله) الواحده لابد ان نضيف كلمة حق بعد نضالات أريوس هذا الإسكندري،. والتي راح ضحيتها ومن قبله مارتن لوثر الذين جاروا بكلمة حق واعتبروا المسيحيه بالشكل الذي أفرز البابويه وعصمة البابا وصكوك الغفران واحتكار التفسير للكتاب المقدس إن هي إلا

انقلاب خطير في المسيحيه الحقيقيه التي نادى بها المسيح -كما هي واضحه في القرآن الكريم..

نعم نقول ذلك ونثمن مجهوداتهم ونذكرها لتكون خطوه على الدرب في الفكر الحر كما فعل ذلك مارتن لوثر – الذي وصف تعاليم الكنيسه بتعاليم الشيطان لفرط ما رأى منها من بدع وسيطرة وتسلط كان له أثر كبير على المجتمع الأوروبي برمته فأعلن الحرب على الكنيسه وتعاليمها وكان قمة ذلك في فصل الدين عن الدوله..

والحق كانت الحروب الصليبيه والهجمات المتتاليه على المسلمين هي بفعل البابويه الذين ظلموا في بلادهم ومن ثم في بلاد غيرهم ..

وأوكام : هو الآخر انتقد السلطه الزمنيه التي يمارسها البابا لابل كافحها، وهو وإن انتقد الدين، وأعاب عليه إلا أنه كان يقصد ما لحق بالرسالة المسيحيه من انحرافات وخاصه في السلطه السياسيه العليا، وعصمة البابا في القول والعمل ..

وهو الذي قال أفكاراً ناضجه عن (الله) وكلمة التوحيد، ومفاد عباراته أن الله لاتدركه الأبصار فهو لاشخص، ولاجنس ولانوع، فلا يُشاهد ولا يحس، وإن مجال الله هو الإيمان والإعتقاد وليس الجدل العقيم ..

وأما أنا فإني أضع أمامهم الحقيقه الكبرى التي تمثل الكلمه المشتركه بيننا وبينهم ولافضل لي فيها إلا الترتيب والجمع وكل الفضل للمولى عز وجل-في القرآن الكريم ..

****

العوده الى الحقيقه الكبرى

مقدمه

بتأثير عوامل مختلفه بدأت العقيده التوحيديه تأخذ طريقها لدى الافراد والجماعات، وبهذا تعود الى الأصل وتترك عن كاهلها الوثنيه وكل القيود الإنسانيه التي كبلت الفكر الإنساني بأساطير وأفكار لاتمت للتوحيد بصله وها هو:

مجدي مرجان، وقد كان شماساً نصرانياً في عصرنا الحاضر يقول:*(إن شعوب النصرانيه التي فرض عليها التثليث بدأت تعود الى التوحيد الإلهي بصراحه ووضوح دون خوف أو وجل ..*)(١) ويكتب الدكتور موريس بوكاي: كتاباً يقارن فيه بين الأديان والكتب المقدسه.، ويخلص الى نتيجه واحده وكتاب واحد وإله واحد لاشريك له*.

وفي هذا إيذان صارخ بمواجهة الوثنيه والشرك والعوده إلى التوحيد دون تردد أوخوف من مواجهة أحد كما حصل مع أريوس المصري أسقف كنيسة بوكاليس بالإسكندريه فحين اعلن أن الله واحد ولم يلد ولم يولد تكاثر عليه الأعداء واتُهم بالكفر والهرطقه ثم قُتل..

وهذا الأسقف نسطورا ينكر أُلوهية المسيح، وفي بولونيا نادى العلامه (سوسيتس) بوحدانية الله وبشريه المسيح مقرراً أن الإله لا يحل في البشر ..

ويتابع الطهطاوي* ذكر بعض الموحدين فيذكر مجموعه نقلها من المهندس أحمد عبد الوهاب فيقول: لقد حدث أن انتعشت عقيدة التوحيد في بلاد المجر بين النصارى، وفي هولندا ....

(١). الميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي ص١٠٩

يعلن المفكر الهولندي (توماس اكمبس في كتابه على خطى المسيح) فيقول هناك تناقض بين القول أن المسيح إلهاً أو الأقنوم الثاني من الثالوث الإلهي *.[1]

الحقيقه المشتركه في الإسلام والمسيحيه

إذا كان جوهر الرساله المسيحيه عظيم الصله بالرساله الإسلاميه قلباً وقالباً، فأين إذن مكمن العداء وسبب الداء في الصراع الاسلامي المسيحي؟ .

وإذا كان جوهر الإسلام لايختلف شيئاً عن جوهر رسالة المسيح، لا في المبادىء ولا في الكليات فمثلاً في التوحيد الإلهي المطلق هذا اعترف به المسيح نفسه –بالنص القرآني.. وفي العبادات وفي المعاملات.. نعم في كل ذلك.

فأين الحلقه المفرغه التي يصطدم بها التشريع المسيحي مع التشريع الإسلامي.، مع العلم أن رسالة المسيح وما تنطويه من مبادىء توراتيه وانجيليه تشكل النصوص الرئيسيه في القرآن، من خلال سرد قصص الأولين، وأخبارهم والتكاليف التي وجهت إليهم، فهناك سوره خاصه بآل عمران وهم الأساس في حياة مريم، وسوره خاصه بمريم وابنها المسيح عليه السلام ..

يضاف إلى ذلك قصص موسى عليه السلام مع قومه وهي التي تشكل جوهر الرساله التوراتيه.. فنصوص الإنجيل الصحيح والتوراه الصحيحه لاتؤخذ من كتب غير واضحه ولاتقدّر حق الأنبياء قدرهم الذي يستحقونه..

وإنما تؤخذ من المعجزه الأبديه في التشريع والحكم وكذا في سيرة الأنبياء الحقيقيه. ولقد آن الأوان للتنبيه على هذا الأمر، فكل التكاليف والمطالب التي وجهت للأولين هي منصوص عليها في القرآن، وبشكل يحفظ حقوق الإنسان الأبديه،.

---

(١). انظر الميزان للطهطاوي ص٨١

فمثلاً حكم القصاص جاء أول ماجاء إلا في التوراه إلا أن القرآن أكد عليه وأقره بالنص الآتي:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]

هذه الآيه جاءت في التوراه التي قال القرآن عنها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٤٤] .

وكان المفترض أن يكون أول المؤمنين برسالة محمد عليه السلام،هم أهل الإنجيل وقد بشرهم برسول يأتي من بعده اسمه أحمد وهو مكتوب عندهم في كتبهم، وها هو بالنص القرآني:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:٦].

فالأساس في الرساله الانجيليه والتوراتيه هو التصديق برسالة محمد القرآنيه ولا فارق بينهما إلا أن القرآن كان تتمة الرسائل وكان المفترض أن ينضوي الجميع تحت لوائه ومظاهر التصديق برسالة القرآن ومجيء محمد (أحمد) مكتوب في التوراه والإنجيل الصحيحين..

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧].

حتى المبادىء التي وردت في تلك الكتب هي نفسها كما رأينا المبادىء الحقيقيه في الإسلام والمسيحيه.

﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

وكان الجزاء الذي ينتظرهم لوآمنوا برسالة محمد المصدقه برسالة المسيح، جزاءً عظيما في الدنيا والآخرة:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المائدة:٦٥]. وها هو يُفصّل سمة الإيمان المطلوب منهم:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٦٦].

فكان المفترض أن يؤمنوا بماأنزل الله إليهم في:

أولاً: التوراه والإنجيل وبما أُنزل إلى محمد ثانياً وهوالقرآن أما الذين آمنوا منهم، من القسسين أو الرهبان..

فكانوا إذا سمعوا الرسول يتلوا بعض آيات القرآن كانت أعينهم تفيض من الدمع وذلك حين وجدوا أن مايقوله هو مطابق لما بين أيديهم من نصوص صحيحه في التوراة والإنجيل وهاهو القرآن يذكر ذلك بالنص:

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة:٨٣].

هؤلاء ومثلهم عرفوا حقيقة القرآن وما جاء به الإسلام فأسلموا لله رب العالمين لاشك أن أي عاقل وحيادي يلمس هذا التزاوج أوالإتحاد العقيدي بين الرسالات-لأن جوهر الرسالات كلها هو الإيمان بالله أولاً واليوم الاخر ثانياً أي الحساب والعقاب، والقيام بالأعمال الصالحات ثالثاً..

وهاهو القرآن يذكّرنا بتلك المبادىء المشتركه، لدى الرسالات السماويه.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة:٦٩].

أين هم الفلاسفه الحاقدون، الذين زرعوا بذرة الحقد والكراهيه في الرسالات السماويه لتصطرع الأمم وتتكالب أول ما تتكالب على أمة الإسلام عامه..

وحاملي الرايه الإسلاميه من العرب خاصه.. نعم أين أولئك الذين زرعوا الفتنه بين الأمم فصوّروا الإله عدة آلهه، واحد للإسلام وآخر لليهود وآخر للمسيحيين، وياليتهم وقفوا عند ذلك بل أشركوا الأب والإبن والروح القدس وعزير ابن الله...الخ .

أمِن أجل ذلك جاءت زحوفهم تبشر تارة وتدرس تارة أخرى، وتنزل الحمم والبراكين على أرض العرب والمسلمين لم كل تلك النقمه على هذه الأمه – الإسلاميه العربيه وهاهي الإجابه بالنص القرآني:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٥٩].

الحقيقه الكبرى في المسيحيه:

الحقيقه الكبرى في الإسلام والمسيحيه هي أن الله واحد في السماء والأرض، ويجب أن تترسخ هذه في القلب، حتى تصبح اعتقاداً أبدياً تنضوي في عقيدة التوحيد.، وغير ذلك، انحراف عن هذا الصراط الإلهي واشراك مع الله، والله لا يقبل أن يشرك به أحداً.

وهذه العقيده عقيدة التوحيد، لاتتبدل أو تتغير وهي قد جاء بها كل الرسل والأنبياء، وكلهم بشروا بهذه الحقيقه.. أما في المسيحيه فقد ورد على لسان المسيح عليه السلام قوله:

(فجاء واحد من الكتبه وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أن إجابتهم حسنه سأله أية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي: اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك*.[1] وهذا نص انجيلي آخر:

(وهذه الحياه الأبديه أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته)*يوحنا اصحاح ١٧ عدد ٣.

---

(١). انظر انجيل مرقص ١٢: ٢٨-٣٢

في هذين النصين تتمثل الحقيقه الكبرى في المسيحيه وغير ذلك هو انحراف عن هذه الحقيقه،. وأنا أعجب كل العجب كيف تتحول هذه النصوص الى حقائق مختلفه بين عشية وضحاها وهذه النصوص لاتختلف عن قوله تعالى بالنص القرآني:﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ﴾ [المائدة:١١٧،١١٦].

ولا أظن غير ذلك إلا من صنع الإنسان لأن النصوص واضحه في الكتب المقدسه –الصحيحه.. حتى وإن نال بعضها نوع من التحريف إلا أن هذه الكتب لا تخلو من النصوص التي تصرح بوحدانية الله تعالى *كما رأينا من قبل ونلاحظ الآن :

فقد ورد في إنجيل متي أن ابليس طلب من المسيح عليه السلام أن يسجد له من دون الله حينئذ قال يسوع: (اذهب ياشيطان لأن مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد*.[١]

وفي رسالة بولس الرسول إلى أهل روميه:

((لأن الله واحد))*أينما نذهب تتجلى ارادة الله الواحد الأحد، لا يستطيع واحد من البشر انكار ذلك حتى بولس في رسائله إذ لابد أن تجد شيئاً من الوحدانيه والتوحيد بالله الواحد القهار.

(١). متي ٤-١٠

وفي رسالته إلى أهل أغلاطيه (أما الوسيط فلا يكون لواحد ولكن الله واحد)*[1].

وها هو ينطق بذلك في رسالة يعقوب أيضاً (وأنت تؤمن أن الله واحد، حسناً تفعل*يعقوب ١٩،٢.

أما يوحنا فيروي عن عيسى عليه السلام قوله :

(إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)*.[2] ومتي يروي قول عيسى: (إن أباكم واحد الذي في السماوات)*.[3]

ويروي يوحنا في الفصل الأول من انجيله (الله لم يره أحدقط) وهو طبعاً بخلاف المسيح عليه السلام. كل ذلك ذكرناه من كتبهم وهم يشهدون بذلك بنصوص واضحه..

بشرية الرسول عيسى

المسيح انسان وابن انسان: ((فلما رأى قائد المائه ما كان مجد الله قائلاً بالحقيقه كان هذا الإنسان باراً*[4].كانت الجموع تعترف بأنه إنسان بار وابن إنسان يأكل ويشرب .

المسيح يأكل ويشرب :(جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب)*.[5]

فهو كسائر الرسل وذلك جاء بالنص القرآني: ﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ

---

(١). رسالة بولس الى غلاطيه ٣ ،٢٠

(٢). يوحنا ٢٠ ،١٨

(٣). متي ٢٣ ،٨

(٤). انظر لوقا ٢٣-٤٧

(٥). انظر متي ١١-١٩

يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان:٧].

فالرسل من بني الإنسان وذلك حتى يكلموهم بنفس لغتهم ويعيشون معهم الحياه ويكابدون معهم ..

شظف العيش والفقر والضعف ويعانون من المرض.. ونرى المسيح في الإصحاح الرابع من انجيل يوحنا قد أعياه التعب وجلس على بئر يعقوب في منطقة السامره فجائته امرأه سامريه وطلب منها أن تسقيه فأبت أن تسقيه لأنه يهودي.*[١]

المسيح يحزن :

ثم أخذ معه بطرس وابن زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم نفسي حزينه جداً حتى الموت*.[٢]

المسيح لايعلم الغيب: يقول وأما ذلك اليوم وتلك الساعه فلا يعلم بها أحد ولا الملائكه الذين في السماء ولا الإبن إلا الأب.*

هذا غيض من فيض الأناجيل وغيرها من أدبيات وتراث النصارى تنطق بالحقيقه الكبرى التي لامراء فيها ولا جدال بأن المسيح رسول من عند الله فيه الصفات البشريه جميعها أي هو بشر محض جاء برسالة واضحه، ونبي الى بني اسرائيل .

أما عن صفة عيسى كرسول :

فيروي يوحنا عن عيسى قوله: (إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)*[٣].

---

(١). انظر انجيل يوحنا ٤-١٩

(٢). انظر متي ٢٦-٢٧ -٢٨

(٣). انظر يوحنا ١٨:٢٠

ويقول أيضاً: (ان هذا هو بالحقيقه النبي الآتي الى العالم).*[١]

ويقول أيضاً: (وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله)*.[٢]

أما في انجيل متي قوله (هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل)*.[٣]

أما انجيل لوقا: قد خرج نبي عظيم *[٤].

أما في انجيل برنابا فإن حقيقة عيسى كرسول واضحه أكثر وصفاته كبشر تتضح أكثر فأكثر فيقول عن نفسه:

إني أشهد أمام السماء وأُشهد كل ساكن على الأرض أني بريء من كل ما قاله الناس عني من أني أعظم من بشر.. لأني بشر مولود من امرأه وعرضه لحكم الله أعيش كسائر البشر عرضه للشقاء العام))*.[٥]

وهكذا نرى الإتفاق تاماً على بعض الأمور والقضايا الرئيسه من مثل بشرية الرسول، وقضية التوحيد ومن ثم صفات عيسى وكل الأنبياء من قبله إلا أن الأمر الذي يؤسف له أن هذه الأمور لم تبق كما كانت عليه فاستبدلت كل القضايا أو أغلبها ببدع ما أنزل الله بها من سلطان..

فالرسول تحّول جيلاً اثر جيل الى ابن الله أو هو الرب أو هو والرب في مرتبة واحده، وبذا أساس التوحيد قد تهدم من الأساس وخاصه بعد إعلان الوهية المسيح ونكران صفته كبشر..

---

(١). يوحنا ٦:١٤

(٢). يوحنا ٨:٤٠

(٣). متي ٢١:١١

(٤). لوقا ٧:١٦

(٥). انظر برنابا ٩٤: ١-٢

الحقيقه الكبرى في الإسلام

وهكذا نرى في القرآن و الإنجيل أن الله واحد ولا شريك له فلا المسيح هو الله ولاهو ابن الله وهذه قضيه لاتحتاج لكفاح وصراع وقد نطق بها القرآن والإنجيل – كما رأينا– وتلك النصوص لاتحتمل الإشراك بالله وهذا في نص الايه: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران:٦٤].

والقضيه التوحيديه هذه تحسم الأمر وتزيح كل الطواغيت والأوثان والأرباب – الذين استعبدوا وحكروا عليهم العلم والعلوم والتفقه في الدين ومن ثم:

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:٦٤].

هذه القضايا الثلاث، هي أساس الحوار للوصول إلى الحقائق ومنها هذه الحقيقه الكبرى – حقيقة الله الواحد الأحد لأن أية قضيه غيرها يمكن أن يغفر للإنسان– إن هو انتقص منها شيئاً أوأهملها أما الشرك فلا يغفر هذا الأمر من أي إنسان كان، وفوق كل ذلك يطرح القرآن قضية التوحيد الإلهي هذه للنقاش العلمي..

وهي تسهل على الإنسان– فهمها، وسيّما العلماء منهم والمفكرين الذين يبحثون في ملكوت السماوات والارض،. لابل يرى العلماء الذين حوربوا من الكنيسه أو غيرها حين بحثوا في ملكوت السماوات والأرض،.

أمثال جاليلو الإيطالي أو سقراط أوغيرهم، من قبل ومن بعد أن القضيه الأساسيه هذه مطروحه للنقاش العلمي ودون خوف أووجل وسيرى هؤلاء وأولئك أن إلهاً، يسيّر هذا الكون، ولو كان معه آلهة أخرى لفسدت الأرض وسيرون أنه هو الذي يضر وينفع ويبسط الرزق لمن يشاء وما المسيح إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وكذا محمد ابن عبد الله..

التوحيد والمعرفه الإلهيه

أدركت البشريه مذ وجدت على ظهر الأرض، وعن طريق الإيحاء الطبيعي -الفطري، أن هناك قوه عظيمه تعلو فوق كل القوى -بشريه أوطبيعيه، قادره على كل شيء، وأن عظمتها ظاهره للعيان في تقدير الكون وتنظيمه بسمت عجيب – إنه السمت الإلهي الذي لاترى فيه من خلل أو تفاوت،.

وهذا التقدير العظيم والفعل الذي لايضاهيه فعل إنْ في الأنفس أو في الآفاق لهو الفعل الذي اصطلح عليه بالفعل الإلهي أو القدره الإلهيه وهذه تدل على الخالق الواحد وتوصل الى الكلمه الواحده (الله).

أو هي الحقيقه الكبرى.. الد ما فتىء الإنسان يبحث عنها، ومرة يهتدي ومرات يضل أو يتوه، ولكن على أية حال اهتدى بهداية الرسل والأنبياء أو المصلحين أو بالإيحاء الفطري، كما ذكرنا ..

إلا أن مرات الضلال كانت أكثرها عناداً وتنطعاً وهويعلم الحق اليقين، وحتى في مرات الهدايه والوصول إلى الحقيقه الكبرى كانت المشكله الرئيسه دائماً الإشراك بالله رغم الإعتراف بوجود الله. أو إتخاذ الأحبار والرهبان والوسطاء أرباباً من دون الله..

فكانت الطامة الكبرى، لأن الفاصل هذا بين الله وعبدهِ هو الذي يحول بين المرء وربه لابل يضله ضلالاً بعيدا..

وكان أحسن اليقين والهدي هو الذي كان يأتي عن طريق العلم والإقتناع وهو سبيل ابراهيم إلى ربه..

حتى يكون من الموقنين، فكانت وسائله إلى ذلك النظر في الآفاق وفي النفس وهذا ولاشك سبيل النظر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض.. وقد طرح القرآن هذا السبيل لكل الأمم والشعوب حتى التي لم تأتها الرسالات أو المبشرين أو

غيرهم فإن القرآن يطرح عليهم في زمن العلم الأسلوب العلمي للوصول الى هذه الحقيقه الكبرى..

والحق هي قمة الحقائق لانها تخلّص الإنسان من المشاكل وتحرره من الطواغيت والأوثان، أما الذين يعبدون الله لأنه يضر وينفع شأنهم شأن الأولين في العباده فهؤلاء يكون إيمانهم ضعيفاً، فبالطريقة التي دخل بها الإيمان نفوسهم عبر منافعهم بالطريقه ذاتها يمكن أن يخرج، وعلى هذا فإن إيمانهم لم يصل الى نفوسهم إلا عبر جسور ماديه، وتصورات حسيه، وهي أضعف من أن تقاوم أول ريح عاتيه تصادفهم، فيصبح ذاك الإيمان عرضه للإنهيار ..

لأن أساساته ماديه بحته فتخطفهم الريح وتهوي بهم إلى هاوية الشرك والوثنيه..

وفعلاً، ما أكثر مايُشرك أمثال هؤلاء بالله ربما من حيث لايدرون، حين تنحرف بهم أهواءهم وولعهم المفرط بمتع الحياه ولذائذها الى تقديس الأشخاص الذين كانوا سبباً في حياتهم المترفه ونعيمهم الزائل ومتعهم التي لاتدوم،.

لذا اتخذوهم أرباباً من دون الله – يحبونهم كحب الله أو أشد حباً، وكأنهم نسوا أن ذلك النعيم الذي يتمتعون به هو من فضل الله..

لا من فضل أولئك، وهوللإبتلاء والإختيار ليرى كيف يفعلون ساعتئذ (وهو بهم عليم).

أما حين يدخل الإيمان القلوب ويتعمق في النفوس عبر منافذ العقل وتأملاته في ملكوت السماوات والأرض بحيث تصل حقيقة الله الى القلب كما ينبغي لها أن تصل، إذ بذلك تستقر فيصدّق بها القلب ويلهج بآثارها اللسان ..

وبهذا الإيمان الراسخ، الذي لاتزعزعه الشكوك ولا المخاوف ولاحتى متع الدنيا ولا زخارفها، قلّت أو كثرت وبهذا يقبل الصائم على الجوع طلباً للمغفره والمقاتل على الحرب طلباً للشهاده في سبيل الله، من أجل رضوان الله الذي وقرت محبته في القلب، ويقبل أيضاً الزاهد على محرابه متعبداً قابلاً، بشغف العيش في الدنيا من أجل محبة الله في الآخره.

هؤلاء هم الذين يفهمون التوحيد بالله بمعناه الصحيح، لأولئك الذين لايرون في الله إلا بمقدار ما يصلهم من متع وزخارف الدنيا العاجله،. لابل هؤلاء الذين وضحت عندهم فكرة الألوهيه وضوحاً لايعتريه تغيير ولاتبديل، لذا كان القرآن حريصاً على هذا الطريق العلمي البحت للوصول إلى معرفة الله، والتوحيد به.. فبالقرآن وبالعلم وبآيات الله في الكون وفي الأنفس تتضح الرؤيه وتنقشع الغمامه..

أما القرآن فلأن النموذج الإيماني هذا قد طرح فيه ولم يتغير وهو بمثابة إشاره ليس إلا، نحو استخدام وسائل العلم ووسائل الكون للوصول الى حقيقة التوحيد..

فبالعقل يقول القرآن تأملوا ملكوت السماوات والأرض والشمس والقمر والليل والنهار، الإنسان والحيوان النبات والطعام، وهذه إشارات فقط على طريق الإيمان، فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ومن شاء فليكفر..

*ويضرب الله مثلاً على ابراهيم النبي يبين كيف يصل الإنسان الى حقيقة الإيمان بالله فكان نموذجاً للبشريه يمكن أن يحذي حذوه كل انسان جاد بالوصول إلى الحقيقه فيقول تعالى:

في محكم كتابه:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام:٧٥] .

تلك البدايه، النظر والتأمل وبهما وصل الى الحقيقه، كما نرى أيضاً:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:٧٦-٧٩].

هذه التجربه الإيمانيه يمكن أن نطبقها في كل العصور حتى في عصرنا العلمي الحاضر الذي وصل فيه الإنسان من التقدم الى أن وضع قدماه الأولى على سطح القمر، وإن لم ينفع هذا معهم..

فهم بذلك ينطبق عليهم قوله تعالى: ((لتركبنّ طبقاًعن طبق فمالهم لايؤمنون)).

وفعلاً سيصعدون سماءً بعد أخرى وهم بعد لايؤمنون أو ربما لاتكفيهم تلك البراهين والأدله على الوجود الإلهي،..

*فلربما الآيات الآتيه: في خلق الإنسان تنفعهم على هذا الدرب

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ [الطارق:٥-٧].

هذا هو القرآن وهذه هي معجزته الأبديه كتبت في القرآن منذ اربعة عشر قرناً وهي مازالت صالحه لكل زمان ومكان، تخاطب القلب والجسد والعقل يقول تعالى بعد ذلك:

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣].

ربما ذلك لايكفيهم للإيمان.. فإن كان فما بالهم بالآيات الآتيه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

نعم ما بالهم بذاك القول أهو من عند محمد؟ وإن كان! فكيف بإمي لا يقرأ ولايكتب يأتي بمثل ذلك الإسلوب العلمي..

في موضوع علمي، لم تتضح معالمه بعد إلا في هذا العصر وبعد عشرات السنين من البحث المتواصل ..

وفعلاً كان آخرنتيجه علميه لا تقبل الجدل والشك، أن الإنسان خلق من تراب لابل عناصر الإنسان هي نفسها عناصر التراب –الطين–من مثل معادن الحديد والفسفور والمنغنيز والكالسيوم والبوتاسيوم..الخ. ولكن ذلك مكتوب في القرآن منذ أربعة عشر قرناً كما يأتي :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج:٥].

هذا عن خلق الإنسان وهم أدركوه أخيراً بالتجربه العلميه..﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات:٥٠].

**لابأس فلنحدثهم عن طعامهم لعلهم لايلحدون، فيؤمنوا برب العالمين وهذا قوله تعالى بالنص القرآني: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ [عبس:٢٥-٣٠].

هذه مراحل اخراج الطعام من الأرض إن استطاعوا غير ذلك فليتقدموا بالبرهان..

وهذا الدرس الابدي في الزراعه لايتغير ولن يتغيّر، وهذه التأملات القرآنيه الممزوجه بحقائق العلم والمكتوبه في صفحة الكون إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الذي خلق الكون هونفسه الذي وضع الناموس العلمي..

وهونفسه الذي أوحى بالقرآن للإنسان والحقيقه التي أودعها الله في الكون وهي الحقيقه الكونيه هي نفسها التي أوجد لها الناموس والقانون العلمي وهي نفسها المذكوره بآيات من الذكر الحكيم.. وهكذا يذكّر المولى عز وجل أن أولى الألباب والعلماء هم أقدر من غيرهم على فهم العلائق الوثيقه بين الحقائق الكونيه والعلميه والقرانيه.. وهؤلاء هم الأقدر على فهم الحقيقه الكبرى التي مهدّت وقدّرت كل شيء كما نرى في النص قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:١٩٠].

*وعن الشمس والقمر يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد:٢].

والعلماء وحدهم يفهمون حقائق الشمس والقمر أو أقدر من غيرهم على فهم ذلك وعليه فإن سبيل الحوار العلمي هو السبيل القويم للوصول الى معرفة الله معرفه حقيقيه، وما داموا هم أهل العلم والحضاره كما يدّعون ..

فلنطرح قضية الوحدانيه، بيننا وبينهم للنقاش العلمي والحوار الفكري وها هي القضيه التي أشار اليها القرآن. فالذي جاء بالقرآن عن الشمس لايمكن أن يكون من صنع إنسان وهو لايملك بعد من وسائل العلم شيئا..

فالشمس في السماء لغز مجهول ولكنها في القرآن: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يس:٣٨،٣٩].

﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس:٤٠].

هذه الحقائق عن الشمس والقمر والليل والنهار هل تغيرت، لا وألف لا..

وإنما الإنسان هو الذي يفهم منها بمقدار ما يعلمه ويعرفه من العلوم وبمقدار ما يملك من الوسائل وأما الحقائق فهي في الكون ثابته لاتتغيّر وكذا هي في القرآن..

أما حقائق الليل والنهار ((فلا الليل سابق النهار))، أيضاً..

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴾ [الإسراء:١٢].

والهدف من كل ذلك:

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾[النبا:٩-١١]

وأخيراً ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ [الإسراء:١٢].

هذه الحقائق مختصره، ولكنها إشارات تفتح آفاقاً رحبه للعلم والمعرفه ولم تكن تلك الآيات بذي معني قبل عصر العلم والمعرفه وإن وجدت منذ الأزل، ولكنها الآن فقط اتضحت وعرفت العلاقه الزمنيه، من مسيرة الليل والنهار.. وعليه فإن القرآن والكون آيات محكمات متسقه وبعضها البعض، وأما الإنسان فهو الذي يتأخر عنها في المعرفه والآيات الأخرى في الليل والنهار: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ [يس:٣٧].

ونقول للذين فصلوا الدين عن الدوله واعتبروا التقدم والحضاره هو الثمره، لذلك نقول لهم أن الأمر عندنا ..

مختلف ولايجوز أن يؤخذ الإسلام أوالقرآن بجريرة مافعلته الكنيسه، باسم الدين المسيحي في مطالبتها ومحاربتها للعلوم هؤلاء وغيرهم نقول لهم: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [القصص:٧٢].

هم صعدوا الى القمر، وقالوا لم نجد في صعودنا ما يسمونه (الله)،ولكن نقول إن القمر الذي وصلوا اليه هو ظاهره كونيه موجوده من قبل وكل مافعلوه لايخرج عن هذه الآيه:

﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ [الرحمن:٣٣].

وها هو سلطان العلم يوصلهم الى القمر، وإن وصلوه متأخرين فإن الإذن قد صدرلهم من قبل.. وحتى صعودهم الى السماء، لم يغيّر من حقائق القمر من شيء.، وكل ما فعلوه هو الوصول الى جزء ضئيل من مخلوقات الله التي لاتعد ولاتحصى.

كان الحري بهم وهم يصعدون إلى السماء ويرون ملكوت السماوات والأرض أن تشخص أبصارهم ذله وخشوعاً وإيماناً بالله رب العالمين.. وماذا بعد،هل نحدثهم عن الماء أوالسحاب أو الرياح.. أما عن الماء فيقول تعالى في محكم آياته وبالنص القرآني:

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ ﴾ [النور:٤٥].. والماء هو أساس الحياه كما نرى من هذا النص :

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴾ [طه:٥٣].

وقال أيضاً: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ﴾ [الزمر:٢١]

وبعد.. ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة:٦٩،٦٨].

وعن الرياح والسحاب يقول تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر:٢٢]. وقال أيضاً:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٥٧].

وقال أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور:٤٣].

نسوق ذلك من أيات تبحث في العلم والعلوم لايقدر عليها لاعالم ولانبي أمي وذلك لكي يؤمن الذين لايؤمنون بوجود الله وأن القرآن ليس من قول البشر،..

وهذا أمر لابد ان يدركه العقلاء من القوم كما جاء في الآيه، وما داموا قدوصلوا الى القمر وهم تفوقوا في العلوم والمعارف فليسمعوا هذه الايه:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤].

وهكذا يمكن القول أن هذا الجيل أوتى من أسباب التوحيد الإلهي الوسائل الكثيره العلميه منها وتجارب الأولين في العبادات، ومن ثم هذا الكتاب العظيم القرآن، الذي تتسق آياته مع آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم لعلهم يهتدون.، وهذا يؤكده القرآن بقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣].

وبعد نقول لمن ران على قلوبهم صدأ الكفر والإلحاد والشرك أن هذه الآيات تدلل على صفات الخالق.. التي لا يشاركه فيها أحد فكلها من صنع الله وتدبيره وأعجز على الإنسان إن كان نبياً أو ولياً المسيح عيسى ابن مريم أومحمد ابن عبد الله أو موسى اوغيرهم لأن يأت بمثل ذلك أو يشارك بفعل ذلك ..

وهذه الامور لابد أن توصل الى الحقيقه الكبرى حقيقة الله الواحد الأحد وهاهو يوحي الى الرسول بمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون:٨٤]

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون:٨٦].

﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٨،٨٩].

أما الذين يشركون مع الله آلهة أخرى ويؤمنون بتعدد الآلهه نقول لهم قوله تعالى:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل:٦٠].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:٦١].

وأما الذين يطلبون العون والنجدة من غير الله نقول لهم قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل:٦٣].
وأما الذين يعتقدون بوجود الله ولكن أشركوا به وجعلوا له أبناء نقول لهم قوله تعالى :

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١].

هذا تفسير منطقي وعقلي لعدم وجود إله أو أبناء أو حاشيه مع الله لأنه لو وجد أكثر من إله لفسدوا في الأرض واعتدى بعضهم على بعض وذهب كل إله بما

خلق وهذه الواقعه إشاره الى إدعاء المسيحيين واليهود في قولهم بالنص القرآني:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠].

أو قولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨].

فيقول لهم المولى عز وجل:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة:١٨].

أما صورة المسيح في القرآن ومكانته فقد ذكرناها في بداية البحث فهو رسول قد خلت من قبله الرسل. ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ [النساء: ١٧٢].

وهكذا نرى أحقية القرآن كمستند صدق في الديانات والرسل والأنبياء وعليه نرىفيه قيمة االإسلام ومركزه من الديانات الأخرى ولذا قال المولى عزوجل إن الدين عند الله الإسلام..

الفصل السادس
التجربه الإسلاميه

الدين عند الله الإسلام

نعم يكون بذلك الإسلام هو دين الأرض، وبإرادة من السماء فقد احتوى كل الاديان برسالته القرآنيه الشامله، من حيث التشريع والحكم والعقيده، وفيه الكلمه المشتركه بين الأديان، والتى كتبت أيضاً في التوراه والإنجيل وكل الكتب السماويه وهي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) هذه هي القاعده الجوهريه في الأديان وهي الوحيده الصالحه كأساس لحوار الأديان ..

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤].

وهذا هو المضمون الموحد للرسالات، مكتوب فيها بوضوح ولايستطيع أحد من المسلمين أن ينكر ذلك على التوراة أو الإنجيل فهو مكتوب بالنص القرآني، وأما المشكله الرئيسيه فهي غير مؤكده لديهم بنص واحد لأنها لم تبق-كتبهم على النص الأصلي، التي نزل بها الوحي من الله مباشرة.. وإنما هي مؤكده في القرآن، من هنا نرى وجوب الإعتماد على القرآن خاصةً في المسائل الدينيه المختلف عليها بين الأديان لأن الله تكّفل بحفظه من أي تبديل أو تغيير..

وعليه مازالت الحقائق الدينيه ناصعة البياض في القرآن الكريم وكلها تفضي الى مضمون الإسلام من حيث التوحيد، وعدم الإشراك بالله، وهذا هوالتسليم لرب العالمين والذي أخذ اسم الإسلام ..

ولم نبعد كثيراً فلنرى الأنبياء وهم يهتفون من قبل بالإسلام، فها هو ابراهيم عليه السلام أول من كان من المسلمين..

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧].

وكلمة الإسلام تعني التسليم لله وحده لاشريك له، وقد يكون هذا التعبير ناقصاً، فلا أحسن من تعبير القرآن وهو يقول تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢].

وقصة الدين الذي ارتضاه الله للإنسانيه شهد به كل الأنبياء وهو بذا يكون الدين المقبول عند الله كما نرى من النصوص القرانيه: الإسلام هو ملة ابراهيم:

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:١٣١،١٣٠].

ومن ثم وصى ابراهيم بها بنيه ويعقوب:

﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢].

ومن ثم وصى يعقوب من بعد ذلك بنيه بالملة الإسلاميه ملة ابراهيم بقوله تعالى:

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣].

وهكذا نرى أن قصة الاديان والإيمان بها تحتاج إلى مستند صدق، لايرقى إليه الشك كالقرآن وهوخير مستند لهذا الهدف والأمر كما نرى واضح جلي لايحتاج إلى شرح أو زياده عليه..

والذي يريد معرفة الحقيقه في الآخره وما يتعلق بها في الحياة الدنيا لابد أن يلجأ للقرآن الذي أبان أن الإسلام هو دين الله..

وهو المقبول في الآخره عند الحساب والعقاب أما الأخرى خاصه الصحيحه فهي مصدرها الله وهي تدعو للإسلام -كما رأينا- وأما هذه الأسماء فهي من صنع البشر، فالدين عند الله هو الإسلام كما نرى في النص القرآني الأتي: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران:١٩].

والأنبياء دعوا كلهم بدعوة الإسلام، وهاهو يوسف عليه السلام يقول بقوله تعالى:

﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

وها هو عيسى عليه السلام يقول بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٥٢].

وها هو سليمان يدعوا ملكة سبأ الى الإسلام: ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل:٣١].

وهكذا، يوضح القرآن أن جميع الانبياء مكلفون من إله واحد لتبليغ رسالة واحده، هدفها واحد وهو التوحيد بالله، رب العالمين.

هذا هو جوهر الديانات الذي احتواه الإسلام ورسمه بأحسن صوره، وكأن الأديان –أُختزلت في دين واحد وشريعة واحده وكل الرسل والأنبياء جاؤوا بشريعة واحده من عند إله واحد..

﴿ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦].

حتى فرعون لما أدركه الغرق نطق بالإسلام ولكن بعد فوات الأوان فيقول تعالى:

﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٩٠].

بشرية الرسول-محمد عليه السلام

وبعد ونحن ندعو بدعوة الإسلام لابد من الإعتراف أن هذا الدين قد تعرض لمحاولات توفيقيه بينه وبين الأديان والملل الأخرى حتى أجاز البعض ما أجازته المسيحيه الغربيه من فصل الدين عن الدوله واللحاق بركب الحضاره الغربيه كبديل، وابعاد الدين عن العلم والمجتمع من اجل التقدم ..

والحق، إن كل تلك المحاولات هي بمثابة تكرار الذي حدث في المسيحيه، ودخل على الإسلام غرباء كثيرون أرادوا أن يحتلوا دور بولس في المسيحيه، بل وعملوا من أنفسهم طواغيت وأوثان مقربين يشفعوا للناس عند الله،.

وكلها محاولات باءت بالفشل لأن هذا الدين هو دين الله وهو المحفوظ بأمر الله من التحريف والزلل، بحفظ دستوره الأبدي القرآن من كل الإنحرافات.. وقد تعرض القرآن لكل هذه الأمور بوضوح شامل لئلا تقول الناس كما قالوا من قبل (المسيح ابن الله) ومن قبلهم اليهود:

(قالوا عزير ابن الله) وها هو الرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد بالنص القرآني على بشرية الرسول: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف:١١٠] .

وعلى هذا فالرسول بشر ورسول ورجل.. قال تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

وهم كغيرهم من البشر يظنون ظناً في الآراء والأحكام التي ينطقون بها خارج ظاهرة الوحي ومهمة التبليغ فها هو الرسول يؤكد على ذلك فيقول:

(إنما أنا بشر وأنكم تختصمون اليّ فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئاً، فإنما أقطع له قطعة من نار). وقصة تأبير النحل أظنها معروفه حين قال:

(ما أظن يغني ذلك شيئاً)، ولكن تأبير النخل اعتاد عليه القوم واعترف بنجاعته الحميع فيتدارك الرسول الأمر فيقول: (أنتم أعلم بأمر دنياكم). ويقول أيضاً:

(فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله عز وجل).صحيح مسلم١١٨، ١٣.. وعلى هذا فإن ظن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخطأ الهدف وهو يقول ايضاً:

(إنما أنا بشر مثلكم وإن الظن يخطيء ويصيب ولكن ما قلت لكم (قال الله) فلن أكذب على الله)..

وهكذا يؤكد القرآن، وحتى الرسول نفسه على بشرية الرسول-أي رسول، وأنه لايجب أن تصل محبته مثل محبة الله-

أو تقديسه مثل تقديس الله أو إلصاق الألوهيه على أي شخص كان، كما فعل النصارى مع المسيح واليهود مع عزير..

لذا أكد القرآن على مثل هذه الأخطاء، وها هو ينبه الرسول الى مثل ذلك فيقول تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٧٤]. وقال أيضاً: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨].

ونفهم من ذلك كله أن الرسول خارج مهمة التبليغ أو ظاهرة الوحي شأنه شأن غيره من البشر، يأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون، ويمسه كما يمسهم السوء، فلاهو بملَك.. ولاهو بإله ولاهو يملك خزائن الأرض. ومن ثم يظهر جلياً في القرآن وضع الرسل الصحيح. فيقول تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الأنعام:٥٠].

وأما ضمن ظاهرة الوحي فمهمة الرسول تبليغ الناس ما يوحى إليه من ربه دون زيادة أو نقصان، حتى كلمة قل يلفظها كما وردت مثل: ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام:٦٦].

وعلى هذا فإن الرسول في الإسلام لايملك أية صفه من صفات الألوهيه، وكل ما يطلب من المؤمن فعله هو اطاعة الرسول فيما أتاه من ربه، وهذا من ضرورات الإيمان لأن إطاعة الرسول..

هي بمثابة إطاعة الله وإطاعة أوامره، فالتكاليف والتشريعات التي يأت بها الرسول، هي أوامر إلهيه لابد من الإمتثال لها وعليه (ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله).. وعلى ذلك اتضحت معالم الطريق السوي التي تجمع الأديان على أمر واحد وعرضنا ذلك بالنماذج القرآنيه، من مثل حقيقة وجود الله وكيفية الوصول لهذه الحقيقه، وبيّنا طرق ذلك وأهمها من آثاره الداله عليه في الكون ومقارنة ذلك مع آيات القرآن،

والتي تتسق مع آيات العلم وحقائقه في الكون.. وعليه نرى آثار الله في كل ذرة من حياتنا،

في طعامنا ومائنا وشرابنا وفي الأرض وفي والسماء، كل ذلك ينطق ويسبح بحمد الله وعليه : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء:٤٤].

وطريق التوحيد به ماثله في وهج الشمس وضياء القمر، في ظل الشجر وفي علوم القرآن وآياته، لابل في كل سطر من سطوره لابل في الفاصله، وفي النقطه التي مابرحت محتفظه بمكانها الذي زرعت فيه منذ أربعة عشر قرناً، وبعد نقول لأصحاب العقول ..

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

التجربه الإسلاميه في أوروبا

من بين المقولات التي روّج لها المبشرون أن الإسلام ما انتشر ولا وصل الى أوروبا وحدود الصين إلا بالسيف والقتل والحرب والإرهاب، وأن سمة الحرب والقتل سمه رئيسه في المنهج الإسلامي في سبيل نشره بين الأمم، يقول **توماس كارلايل** في كتابه **(الأبطال)**:

حين الحديث عن النبي: (إن اتهامه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الإستجابه لدعوته سخف غير مفهوم، إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل سيفه ليقاتل به الناس أو يستجيبوا لدعوته ..)*.[1]

وفي معرض تفسير المنار لقوله تعالى: (لاإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) يقول الإمام للرد على من يزعم أن الإسلام قد قام بالسيف فيقول: كان معهوداً عند بعض الملل لاسيّما النصارى حمل الناس على الدخول في دينهم

(١). ظاهرة انتشار الإسلام /محمد فتح الله الزيادي/ص٣٠٢

بالإكراه وهذه المسأله ألصق بالسياسه منها بالدين لأن الإيمان و أصل الدين، وجوهره عباره عن اذعان النفس ويستحيل أن يكون الإذعان بالإلزام والإكراه وإنما يكون بالبيان والبرهان.*[1]

جاءهم الإسلام بالمجادله الحسنه

فالزعم المذكور لا أساس له من الصحه، لأن الآيات القرآنيه واضحه في هذا السياق، وكلها تدعو الى المجادله الحسنه واللين- في الوعظ والإرشاد واتباع سبيل الفكر والبرهان – والقرآن هو الذي أشار أولاً الى الدليل العقلي، والبرهان كأساس جوهري..

للمجادله والحوار.. قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل:٦٤]. **وقبل ذلك** قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]. وقال أيضاً: (وجادلهم بالتي هي أحسن). ودون تسلط أو قسوه وهو الذي قال أيضاً: (لست عليهم بمسيطر)..

لأن من يؤمن فإنما يؤمن لنفسه فالله غني عن العالمين وهو الذي قال: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]. **..هكذا كان** لسان المسلم يلهج ليل نهار وهو يبشر بدينه بين الأمم والشعوب، كان القائد فيهم كما الفرد ،يعلم ذلك علم اليقين ولبث الرسول صلى الله عليه وسلم يبشر بالدين الجديد بين قومه.. سنوات وسنوات باللين والموعظه الحسنه، فهذا مبدأ أساس من مبادىء الإسلام، حتى قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران:١٥٩]

---

(١). الفكر الديني في مواجهة العصر /عفت الشرقاوي /ص١٦١

ويوم جاء الرسول نبياً ورسولاً للعالمين لم يكن يملك من متاع الدنيا شيئاً ولا من عددها أشياء، فلا يملك العدد والعده،.

وفوق كل ذلك عرض عليهم الدخول في الإسلام وهم يملكون ناصية الدنيا كلها يملكون العظمه والقوة والصولجان ..

رسائل الرسول الى ملوك الأرض والردود عليها

وبعد تعالوا نقرأ عن رسائل الرسول الى عظماء الدنيا ساعتئذ، لنرى كيف بدأ الرسول خطابه الى العالمين وكيف كانت دعوته للإسلام، هل هي بالسيف وحده أم بالإقناع والحوار والمجادله الحسنه ومن ثم كيف كانت الردود عليها:-

هرقل عظيم الروم يقول: هو والله الذي بشر به موسى وعيسى الذي كنا ننتظره وهوكما نعلم من علماء النصرانيه..

أما رسالة الرسول الى ملك الفرس والتي حملها شجاع ابن وهب فهي تحمل النص الآتي: إني أنا رسول الله الى الناس كافه لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وقد أثّر الكتاب في نائب كسرى في اليمن فأسلم وكان فارسياً..

*أما كتابه الى النجاشي، ملك الحبشه فكان له أثر كبير في نفس الملك العظيم لأنه علم أن ما في رسالة محمد ورسالة المسيح الصحيحه، هو واحد لابل ينبعان من سراج واحد، ولولا علمه بانتهاء مهمة المسيح ورسالته ومجيء رسول من بعده اسمه أحمد،.

لما أسلم وهو الذي قال –أشهد أنك رسول الله مصدقاً صادقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين..

*أما كتابه للمقوقس عظيم القبط، وكان حامله حاطب ابن بلتعه، فقال المقوقس أن هذا النبي لايأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده

بالساحر الضال، ولا الكاهن الكذب، وقال لعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد.

هكذا يمكن أن نفهم الرسالات السماويه والأديان، وكأنها حلقات في سلسله يتبع بعضها بعضاً، ومن ثم كان الإسلام هو كامل السلسله..

أما المعارك التي خاضها المسلمون فهي من قبيل الدفاع عن النفس في مواجهة الشرك والإلحاد –الذين تحالفوا ضد الإسلام والمسلمين، فالله لابد أن يتم نوره ولوة كره المجرمون والمشركون بالله العظيم. من هنا فرض الله القتال على المسلمين وهو كره لهم، لرد قوى الشرك والإلحاد عن ضلالهم ولردعهم، وهم من قبل الذين أخرجوا الرسول ومن معه من ديارهم وأموالهم.. لذا أذن الله لهم بالقتال،.

وفي وصايا القاده العسكريّن في الحروب أكبر دليل على الحروب المقدسه التي خاضوها، فهي لله وفي سبيل الله، لا من أجل التنفيس عن حقد يملأ الصدور، ولا من أجل مال أو غنائم ولا من أجل انتقام أو ثأر، بل هو في سبيل نصرة دين الله في الأرض..

أو هو من قبيل الدفاع عن النفس. ولنسمع وصايا القاده في الحروب الإسلاميه.. أما وصايا الرسول فمنها: عن أنس رضي الله عنه– قال إن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يقول للقاده:

انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله .. فهذا قتال من أجل نصرة الدين والعقيده، ((ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأه ولا تغلوا)). وهذا أمر يُعد مفخرةً في شريعة الحروب المقدسه، وكان الإسلام أول من أرسى أسس الحرب المشروعه وقوانينها العادله فيقول لهم:

(وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)،، وهكذا، لايظهر أي مستند من وصايا الرسول يدل على سمة الإسلام في الإرهاب والعنف بل الهدف نصرة الله والإحسان والإصلاح فإن الله يحب المحسنين. وهذه الوصيه نفسها تقريباً التي قالها لعبد الرحمن ابن عوف حين أرسله الى دومة الجندل.. أما عن حرية الأديان ومجادلتهم بالتي هي احسن فيقول: (ولا تغدروا ولاتغلوا ولاتقتلوا وليداً ولا امرأة ولاكبيراً ولا فانياً ولا منعزلاً في صومعه).

هذه كلها تبين أن دعوة الإسلام لابل الحقيقه الإسلاميه ما انتشرت إلا باللين والمجادله الحسنه فإن لم تأت بذلك ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾. أما الذين يتصدون للدعوه الإسلاميه بالسيف فلا جدال معهم إلا بالسيف، قال تعالى:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل:١٢٦].

ومن ثم الإسلام جاء بالحريه

وهكذا كان ديدن الإسلام في نشر رسالته القرآنيه، المسلم الفرد والقائد العسكري والخليفه،، وقبلهم الرسول صلى الله عليه وسلم، عرفوا ذلك ووضعوه نصب أعينهم في نشر رسالة القرآن بين الأمم كيف لا وقد جاء رحمة للعالمين..

وفعلاً كان رحمةً وهدى للأمم والشعوب، وقد خلّصها من الأوثان والطواغيت، ورفع، عن المظلومين قيود الحكم والجاه والسلطان أمثال فرعون وقارون وهامان...

نعم خلّصهم من شياطين الإنس وكوابيس الخرافات والأباطيل التي زرعها المشعوذون والدجالون في النفوس وأعطاهم درساً في اللطف واللين والرحمة والعدل وخلصهم من قوى الظلم والعدوان..

وفوق كل ذلك جاءهم بالحرية والإنطلاق وكل ما دعاهم اليه هو الإيمان والتوحيد بإله واحد. ودين واحد.. وعليه أنار دروب المظلومين وسط العتمه، وساوى بين الفقراء والأغنياء، وأحيا البشريه بعد موتها واخرجهم من الظلمات الى النور..

حتى بالمقاييس الماديه -لا الروحيه، وهي المقاييس التي يزنون بها قيمة الأشياء، نعم حتى بهذه المقاييس، لم يفعل لهم الإسلام إلا كل الخير، والأمم وتاريخها يشهد بكل ذلك..

لابل الدرس الأول في الحريه -تلقوه أول ماتلقوه هناك في الأندلس، على يد القاده المسلمين الذين خلصّوا الناس من الخرافات والأغلال بأنواعها وأشكالها المختلفه، وأطلقوا يد الإنسان في الحقل وفي المعمل وفي المدينه وفي القريه، حتى تحولت القرى والشعاب الى عمل متواصل..

هكذا كانت الحريه في عرف الإسلام وتقاليد المسلمين، وهم يروّجون بغير ذلك، لأن الحريه عندهم، ربما تكون التخلص من الأديان وقيودها التي جربوها من خلال الممارسات التي لم تكن من أصل الشرائع في شيء، ولكن إن حصل ذلك حتى عندنا فهذه أمور طارئه لادخل للأديان فيها فهي ليست من شرائع السماء بل من شرائع الإنسان من أجل الإستغلال..

وعليه لايجب أن ينعكس ذلك على شريعة القرآن.. الذي جاء بالحريه الخاصه في العلم والعمل والإعتقاد وجعلهم يسيرون على صعيد اعتقاد واحد والإيمان فقط بإله واحد،.

فالحريه التي علّمها الإسلام للبشريه، كلٌ متكامل، للناس بمختلف ألوانهم وأجناسهم وصفاتهم، وحيثياتهم، والناس عند الإسلام سواسيه كأسنان المشط..

نعم كل ذلك يعترف به أي محايد لايهمه في الحكم إلا العدل ولاشيء غير العدل وهناك الكثير من لهج بهذا واعترف لأهل الفضل بفضلهم ولامنة لنا في ذلك فهو من فضل الله علينا..

الإسلام جاء بالعلم والمدنيه

نعم الإسلام، جاء بالعلم والمدنيه والحضاره بأسمى معانيها وأحسن صوّرها، وهذه الآثار ما لبث يلهج بآثارها البقية الباقيه من مفكريهم الغير حاقدين على الإسلام والمسلمين..

وحتى بعد خروج العرب من الأندلس لم ينقطع الحوار والتواصل العلمي بين الطرفين- فبقيت اللغه والارقام وسيله فعاله لهذا الحوار حيث تقول المؤلفه زيغريد هونكه:

(ولدينا دليل على كل هذا في تفسير (آدم ريزا) للأرقام الرومانيه بالأرقام العربيه ليسهل على الناس فهم الأعداد الرومانيه.. وبقيت الأرقام العربيه تفعل فعلها في بلاد الغرب وقامت بدورها في العلوم والرياضه والإقتصاد على مر الأيام خير قيام*.[(١)]

وتورد المؤلفه عن روم لاندو(من كتابه الإسلام والعرب) هذه السطور: ولقد كانت الخدمه الرئيسيه التي أسداها العرب في هذا الحقل هي استخدام الصفر(الفراغ) كما دعاه العرب.*[(٢)]

---

(١). انظر/ شمس العرب تسطع على الغرب/ص١٠١/زيغريد هونكه

(٢). نفس المصدر ص١٠٩

وفي مكان آخر تقول: لقد كان العرب أساتذه خلاّقين في علم الرياضيات..
١٥٦وتذكر بعض العلماء الذين أثروا الحضاره الغربيه ومنهم: **ابن سينا-الذي برع في في الرياضيات والفلك-١٦٢**

وأما الفارابي: فقد كان فيلسوفاً ورياضياً فذاً ذائع الصيت وتقول أنه لمن المستبعد جداً أن تكون نظرية الفارابي وابن سينا في الاحجام اللامتناهية الصغر هي التي أمدت اعلماء الغربيين..

فيما بعد وعبر القرون بنظرياتهم في الذره.. وربما هي تقصد في ذلك أنهم وضعوا الأسس الأولى لذلك.، وتقول كلمه جامعه في هذا الصدد: أن أرقام العرب وآلاتهم التي بلغوا بها حداً قريباً من الكمال، وحسابهم وجبرهم وعلمهم في المثلثات الدائريه وبصرياتهم الدقيقه -كل ذلك أفضال عربيه على الغرب ارتقت بأوروبا الى مكانه -مكنتها عن طريق اختراعاتها واكتشافاتها الخاصه من أن تتزعم العالم في ميادين العلوم الطبيعيه..[1]

تقول هونكه في كتابها: ..خرجت الى الوجود موسوعه طبيه ضخمه، استعملها الأطباء الاوروبيون خلال مئات السنين ككتاب للتعليم.. وكان واضع تلك الموسوعه الهائله رجل ذاعت شهرته في الآفاق حتى أنه لقب باعظم طبيب في القرون الوسطى إنه: **الرازي**.. وتقول عن الرازي -هو الموسوعي الشمولي الذي استوعب كل معارف سالفيه في الطب وهضمها وقدمها من قبيل التواصل الحضاري للأنسانيه-كما تقول أحسن تقديم..[2]

وتقول عن ابن سينا هو أعظم معلمي الغرب في الطب -في مدرسة الطب بباريس لمدة سبعمائة عام .[3]

(١). هونكه /١٦٣
(٢). المصدر نفسه٢٥٧
(٣). المصدر نفسه /ص٢٩٠

وعن ابن الهيثم تقول:ولد في البصره (٩٦٥-١٠٣٩) وهو من علماء العرب في الرياضيات والطبيعيات من مؤلفاته (المناظر) وكان له أثر في معارف الغربيين و(كيفيات الإظلال) وغيرها.

وعن جابر ابن حيان تقول: كان متقدماً في العلوم الطبيعيه بارعاً، منها صناعة الكيمياء وله فيها تآليف كثيره ومصنفات مشهوره ومن مؤلفاته (كتاب السبعين) (كتاب الخواص) (كتاب السموم) وكتب كثيره أُخرى.

وفي الواقع تورد اسماءكثيره غير ماذكرنا ولكن لانستطيع أن نمر على كل الأسماء لكن يمكن الإشاره الى ابن رشد وابن النفيس والبتاني وغيرهم كثير ممن أثروا الحضاره الإنسانيه وخاصه الغربيه وهنا كلمه يقولها أحدهم: هو(**اغريبافون نتيسعايم**).[1]

(..لذا استقبلت كتب ابن سينا والرازي وابن رشد بالثقه نفسها التي استقبلت بها كتب أبوقراط وجالينوس ونالت حظوه قصوى عند الناس الى درجه أنه اذا ماحاول امرؤ ما ممارسة الطب دون الإستناد اليها اتهم على أهون سبيل بالعمل على الإضرار بالمصلحه العامه..

وفي مراكز العلم الأوروبيه*[2]، لم يكن هناك عالم واحد من بين العلماء الاومد يديه الى الكنوز العربيه هذه يغرف منها ماشاء الله له أن يغرف وينهل منها كما ينهل الظمآن من الماء العذاب.. وتتابع القول:

ولم يكن هناك كتاب واحد من بين الكتب التي صدرت في أوروبا آنذاك الا وقد ارتوت صفحاته بالري العميم من الينابيع العربيه.. وأنا أقول أليس في هذا هو

(١). شمس العرب تسطع على الغرب/ هونكه /ص٢١٣

(٢). المصدر نفسه /ص٣٠٥-٣٠٦

قمة الحوار الفكري –الإسلامي المسيحي والتواصل الحضاري المملوء بالتسامح أو التعارف الأصيل بين الأفكار،.

فأخذوا يترجمون كثيراً من المخطوطات العربيه الى اللاتينيه، وجاء كثير من العلماء من جميع أنحاء أوروبا ليتعلموا العلوم الإسلاميه وليقرأوا الترجمه العربيه للمؤلفات الإغريقيه.

هذا واحد منهم يشهد بفضل العرب والمسلمين على أوروبا إثر تجربتهم الفذه في تلك البلاد، وهاهي تظهر الحقائق أمام الدارسين الجادين والمحايدين منهم،..

أما قوى الظلم والإستغلال ودعاة الصليبيه فقد قالوا عن الإسلام غير ذلك، قالوا عنه جاء لأوروبا بالكره والإجبار وعلى حد السيف، وقالوا عنه أيضاً: إنه دين التخلف والماديه، رغم الذين شهدوا لنا بغير ذلك.. كما رأينا، ونرى من كتاباتهم فيقول هامبولدت:[1]

ان العرب هم واضعوا أساسات العلوم الطبيعيه بمجملها، ولعل في المقارنه التي يضعها سيد أمير علي في كتابه روح الإسلام عن مركز وأهمية العلم في المسيحيه وعهودها المختلفه وكذا الإسلام وفي بقاعه المتعدده وسيّما حين دخل في تجربته –البلاد الأوروبيه..

نعم نقول لعل في تلك المقارنه أكبر دليل على سماحة الإسلام وسعة آفاقه في شتى الصعد الحياتيه –الإجتاعيه والسياسيه، واخيراً العلميه، فيقول عن العهود المسيحيه ونظرتها للعلم والعلوم والمتعلمين.. ما مفاده بإيجاز: في عهد قسطنطين أُغلقت معاهد الدراسه الى الأبد* [2].أما على صعيد المكتبات فقد تبعثرت أو جرى حرقها..

---

(١). انظر /روح الإسلام /سيد أمير علي ص٣٥٧

(٢). انظر روح الإسلام ،سيد أمير علي / ص ٣٥٧

وأما على صعيد العلوم بشكل عام فيقول: كانت تعتبر من السحر ويعاقب متعاطوها بتهمة الخيانه، أما عن الفلسفه والعلوم الطبيعيه بشكل خاص فقد تم استئصال شأفتها من الأساس.

وفي خضم هذا الجو المعاكس للعلوم والمعرفه والحرب الشعواء التي فرضتها الكنيسه على العلوم والمتعلمين ومكتباتهم ومن ثم قامت بحرقها، كما أحرقت مكتبة بلاتين، بحيث لم يبق في أوروبا إلا المذهب الميثولجي لقرون عديده.. في هذا الوقت كان يشع الإسلام بنوره الساطع على الأمم والأمصار ويرسي اسس وقواعد العلم على مرتكزات خالده وبأحاديث وآيات لاتمحى عبر الزمن. ومن أحاديث الرسول عن مكانة العلم والعلماء قوله:

((تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنه ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عباده وتعليمه صدقه..)).

بمثل هذا كان الإسلام يضع أسس حضاره جديده، وإن حدث بعد ذلك تطور في العلم والعلوم فهو ولا شك بفضل الإسلام والمسلمين.. ويتابع سد أمير علي في المقارنه بين العهود الإسلاميه وتجربتها في أوروبا، وغيرها من الأصقاع-والعهود المسيحيه من حيث العلم والعلوم فيقول:

((وفي وقت كانت أوروبا تعتقد بأن الارض منبسطه وأهلها يحرقون كل من يعتقد غير كل ذلك، كان العرب من الجغرافيين يدرسون علم الجغرافيا عن طريق افتراض المدارات الكرويه للأفلاك ويتابع فيقول:

((وحين كانت أوروبا المسيحيه تسترض الشياطين وتعبد خرق القماش من آثار القديسين وعظامهم، في هذا الوقت كانت العلوم والمعارف تزدهر برعاية الحكام المسلمين وينظر اليها بما يشبه التقديس..[1]

---

(١). انظر روح الإسلام سيد أمير علي ص٣٨٨

أما عن التجربه الإسلاميه في اسبانيا فيقول سيد أمير علي في روح الإسلام:[1]

((ففي اسبانيا دمرت المسيحيه الحياه الثقافيه للشعب فبعد أن كان المسلمون قد حوّلوا اسبانيا الى حديقه غناء للعلم جاءت المسيحيه فجعلتها صحراء قاحله، ويتابع القول:

((والمسلمون قد زيّنوا الحواضر بالكليات والمدارس وحولّها المسيحيون الى كنائس لعبادة الصّور والقديسين..

وأحرقت الكتب، وبعد ذلك كان الختام والجزاء كجزاء سينمار إذ قوبلت أعمالنا وحضارتنا وما فعلناه هناك..

بالنكران والجحود والتعذيب والحرق والقتل.. ويتابع المؤلف القول في المشهد الأخير لحياة المسلمين في الأندلس يقول:

أما المسلمون رجالاً ونساءً وأطفالاً أبرياء فقد احرقوا وذبّحوا أو عانوا غير ذلك من التعذيب..

أما من بقي حياً فقد جادت عليهم المسيحيه بالإسترقاق، وقد هرب البعض وقذفتهم أمواج الشاطئ الى بر أفريقيا.[2]

وشهد شاهد منهم

قال رجاء جارودي، الذي أسلم أخيراً عن قناعة واقتناع ودون اجبار أو اكراه – قال :

في كتابه الذي سماه (**الإسلام الحي**)*[3]

---

(١). انظر روح الإسلام ،سيد أمير علي ص٣٨٨

(٢). انظر المصدر نفسه ص٣٨٨

(٣). مقارنة الأديان /محمد عزت الطهطاوي/ص٣٨٨

أن في الإسلام الحل الامثل لمشكلات البشريه المستعصيه والتي لم تستطع أن تحلها الراسماليه الغربيه أو الماركسيه الشرقيه ويذكر اسباب ذلك – في نفس الكتاب، ووضع كتاباً آخر بعنوان **(الإسلام دين المستقبل)..يقول فيه:**

وهو كتاب يعمل على اظهار الإسلام كوجود ومستقبل وهو ليس كتاب تاريخ– أي ان الإسلام يكمن في مستقبلنا اكثر مما يكمن في ماضينا لأن الإسلام لم يكن يكتفي بجمع الثقافات العالميه بل عمل على اخصابها ونشرها من بحر الصين الى المحيط الأطلسي ومن سمرقند في وسط آسيا الى تومبكتو في غرب أفريقيا..

وقدم لإمبراطوريات متفككه ولحضارات محتضره حياه جماعيه جديده، ورد للبشر ولمجتمعاتهم أبعادها البشريه والإلهيه المميزه وروح الجماعه والتسامي.[١]

ويعزو ذلك الى شمولية الطرح الإسلامي بحيث تعالج حالة الإنسان الشامله الماديه والروحيه. وازاء ذلك هو يضع نقصاً في الطرح الرأسمالي والماركسي فيقول بمامعناه، أين نمو القيّم والأخلاق– فيها والمعاملات والسعاده، وبالأحرى أين النمو الروحي؟؟.. أو أثر الدين فيها.. وأنا أقول من جانبي أين هي مجهودات المبشرين والمستشرقين؟ أليس حري بهم أن يبشروا بحقيقة دينهم، على الأقل في ربوع بلادهم التي لفظت تعاليم الدين جانباً وفصلته عن الدوله، وكأنها نزعت آخر التعاليم المسيحيه عن تصرفات المسؤولين والأفراد، وكل ذلك بسبب شطط وغلو الكنيسه فيما سبق – كما يقولون.،

فبدل أن يبحثوا عن الحل الجذري لمعضلة الأخلاق والضمير والقيّم الروحيه التي طمستها تعاليم الكنيسه فحلت محلها صكوك الغفران والإعتراف بالذنب من أجل الغفران، الى غير ذلك من بدع وأهمها محاربة العلم والعلماء..

(١). المصدر نفسه /ص٣٨٨

نعم بدل ذلك وتحت وطأة الظلم الذي أصاب الناس من غلو الكنيسه، بدل ذلك انفصلت بقية تعاليم المسيح تماماً عن الدوله، فأصبحت بلا روادع أخلاقيه، ولا قيّم روحيه.

وهذا أمر أدركه رجاء جارودي، الذي ضاقت به الأرض الغربيه وتعاليم ماركس ولينين الشيوعيه وتعاليم بولس في المسيحيه من قبل فهجر ذلك كله الى تعاليم الإسلام.

الذي لااكراه فيه ولا اجبار فيه يتحرر الإنسان من الأغلال والقيود، وهو الذي يجد فيه الإنسان ضالته في العلم والأخلاق والروح والقيّم..

وجارودي هذا الذي نوليه هذا الإهتمام لأنه بمثابة شهادة صدق من اهلهم وهو جرب المسيحية تاره وجرّب المذاهب الوضعيه تارةً اخرى، فلم يجد أحسن من تعاليم الإسلام في اشفاء غليله،.

حتى ذهب الى القول عن مصير العالم إنْ هو بقى في أيدي الطغاه والذين لادين لهم نعم قال:

إن العلم بذلك يملك وسائل تدميره بنفسه مئات المرات دون نمو في الضوابط والروادع الأخلاقيه.. أما الماركسيه التي اعتنقها فيقول عنها وقد جربها هي الأخرى:

أنها أي الماركسيه ترتكب نفس الخطأ ولكن باسلوب آخر، فاعتمدت النمو المادي، مقياساً للتقدم ومعياراً للسعاده.

وعليه فالمبشرون كما نرى لم يحملوا معهم مبادىء المسيح كما يدّعون، ولكن هم يحملون زيف وأباطيل الرأسماليه أو الشيوعيه الملحده من أجل أهداف ماديه بحته خاليه من القيّم الروحيه.

وإن كان غير ذلك كما يدّعون-فهم لايملكون حقائق المسيحيه الأصليه -كما رأينا- حتى ينشروها ويبشروا بها الأمم، وإلا لما لفظها هذا المفكر الفرنسي العريق والمتبحر في هذا المجال، ومن ثم يدخل دين الله، الإسلام والذي قال نتيجة هذه الرحله الطويله:

هناك رساله واحده أبديه وخالده في هذا الكون وقد جاءت النبوات المتعدده في مراحل مختلفه لتقدم الأشكال المناسبه..

من تلك الرساله الواحده، كل في مرحلته وبطريقته وأسلوبه، والإسلام يقر بوجود هذه الرساله الواحده وينطلق منها ويعمل لإكمالها).

وجارودي ليس وحده الذي اقتنع بمسيرة الإسلام ومبادئه، ولكن الكثير ممن ابتغى الحقيقه وسعى سعيها قد وجدوها ناصعةً في هذا الدين العظيم، فكان سعيهم مشكورا، وكل من سار على هذا الدرب فإنه واصل لامحاله وستزول كل الحجب التي روّج لها المبشرون والطغاه عن هذا الدين، والذين هضموا حقوقه ولم يتناولوها بالجد والحياد، كما قال جارودي:

(لقد استطاع الإسلام انقاذ امبراطورايات عظيمه من التفكك في القرن السابع من حقبتنا.. ويتساءل فهل في امكانه في يومنا هذا أن يقدم اجابه على قلق وتساؤلات حضاره غربيه أظهرت في اربعة قرون أنها قادره على حفر قبر على مستوى العالم وأن تهدم ملحمه بشريه بنيت منذ مليونين من السنين بغبداعات جديده وتضحيات من البشر.. ويقول إن الإسلام دين أُمه وإيمان ونظام حياة متكاملين*[1] .

---

(١). انظر/مقارنة الأديان /الطهطاوي /ص٣٨٩

وهذا موريس بوكاي الطبيب الفرنسي:

الذي كتب عن القرآن والتوراه والإنجيل.. رغم أننا لم نسمع أنه قد أسلم فإنه فاعل ذلك لامحاله فقط إذا طرح جانب الخوف من بني جلدته -جانباً، وإن لم يفعل فكفانا منه الحقيقه، إذ يقول:(١)

لايمكن القطع بثبات نصوص العهد الجديد -الإنجيل- والعهد القديم التوراه.، مما يؤكد أن الأيدي البشريه حرّفت كثيراً من حقائق ذينك الكتابين المقدسيّن، ويقول أيضاً:

وهناك فرق آخر جوهري بين الإسلام والمسيحيه، فيما يتعلق بالكتب المقدسه ونعني بذلك فقدان نصوص الوحي الثابت لدى المسيحيه، في حين أن الإسلام لديه القرآن الذي هو وحي منزل وثابت معاً، فالقرآن هو الوحي الذي أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل ..

أما الإنجيل -كمايقول- أو الكتاب المسيحي المقدس فإنه يختلف بشكل بيّن عما حدث في الإسلام فيقول:

انه يعتمد على شهادات بشريه متعدده وغير مباشره ولانملك مثلاً أي شهاده لشاهد عيان لحياة عيسى*.(٢)

حتى بالمقارنه مع العلم في العصر الحديث يقول: وبفضل الدراسه الواعيه للنص العربي ادركت بعد الإنتهاء منها أن القرآن لايحتوي على أية مقولة قابله للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث..

(١) . القرآن والتوراة والإنجيل والعلم/موريس بوكاي ص١٠

(٢) . القرآن والتوراة والإنجيل/ موريس بوكاي/ص١١

وبنفس الموضوعيه قمت بنفس الفحص على العهد القديم والجديد، فمثلاً ومباشرةً يقدم لنا انجيل لوقا أمراً لايتفق مع المعارف الحديثه الخاصه بقدم الإنسان على الأرض ورغم ذلك يقول –لايبدو لي أنها تستطيع أن تضعف الإيمان بالله»[1]. وهكذا.

وازاء ذلك: الأحرى بالمبشرين والمستشرقين الذين يريدون الحقيقه لذاتها نعم كان الحري بهم وهم قد عرفوا التراث الإسلامي على حقيقته والقرآن الكريم وصدقه بالإضافه أنهم التصقوا بالعادات الإسلاميه وعرفوا الكثير عنها، أن يخلعوا عنهم حجب الضلال وظلمات الأباطيل فيدخلوا في دين الله أفواجا، ليخرجهم من الظلمات الى النور..

وتبقى في شهاداتهم، أكبر النفع وأنجع الدليل على حقيقة مانؤمن به وزيف مايؤمنون لينتصر الحق بعد ذلك ويزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا.

ساعتها يكون فعلهم وهم من الغرب، وفعلنا ونحن من الشرق يصب في معين واحد هو خدمة الحق الذي جاء به الإسلام – هو رساله لكل العالمين، والحق الذي جاء به لايعرف الحدود ولا الجنسيات، لأن الحق واحد، وهو إعلان كلمة الله الواحده في مشرق الأرض ومغربها، ومن ثم تبقى كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر هي السفلى..

وهناك مفكرون آخرون فهموا حقيقة الإسلام فأسلموا لله رب العالمين، ودخلوا في دين الله أفواجا، من شتى الأمم والأجناس وهذا أيضاً دليل آخر على صدق الحقيقه الإسلاميه .

---

(١). المصدر نفسه ص١٣

ليبولد فايس النمساوي الذي دخل الإسلام وسُمي بمحمد اسد.. لقد قادني البحث عن أسباب الإختلافات السائده في المجتمعات الإسلاميه والأوربيه، الى الحقيقه الإسلاميه والمجتمع الإسلامي الإنساني الصحيح البعيد عن الصراعات الداخليه والمرتكز على أكبر قدر من علائق الأخوه.. والمبشر النمساوي هذا الذي اعتنق الإسلام باسم محمد أسد لم يكتف بهذا القدر بل أخذ يبشر بهذا الدين ووضع كتاب (الإسلام على مفترق الطرق)، والطريق الى مكه وترجم القرآن الى اللغه الإنجليزيه.. وقد كشف في كتابه الإسلام على مفترق الطرق أباطيل المبشرين الغربيين وتزييفهم للحقائق الإسلاميه ومنها قولهم:

(لقد استقرت في عقول الأوروبيين أن دين الإسلام دين شهوانيه وعنف حيواني)..

هذا ومثله كثير ولكن نكتفي بهذا القدر من شهادة أولئك الذين أسلموا منهم ففي شهادتهم أكبر دليل على حتمية انتصار الحقيقه الإسلاميه في أي حوار مع أى كان.

وبعد؛ حين اتضحت معالم الطريق أمام المفكرين المسيحيين أو نفر منهم سلكوا في دين الله أفواجا، ولم يروا غضاضةً من إعلان ذلك على الملأ، كيف لا والمسلم حين يلج باب الإسلام، فإنه لايخشى في الحق لومة لائم فهم ما أن دخلوا الإسلام حتى تحولوا الى قوه روحيه خارقه لاتهاب كائناً من كان، وهم لم يفعلوا ذلك طمعاً في مال وهم وبلادهم في غنى عن المال، ولا طمعاً في شهره وهم مفكرون مشهورون في غنى عن الشهره، ولا طمعاً في قوة ومجد المسلمين، والمسلمون في أضعف حال، إن كل ما يهدفون اليه هو الإنضواء تحت لواء الحق والحريه، قبل فوات الأوان، والدفاع عنهما، وهو حقهما في ذلك، كما هو حق المسلم الأول فيه.

وهذا الأمر ليؤكد أن لاصراع بين المسيح ورسالته من جهه وبين محمد ورسالته من جهة أخرى، وإنما الصراع هو صراع بين الحق والباطل، سواء كان صراعاً داخلياً أو صراعاً خارجياً.. ومن ثم كان الإسلام (المصحح للنصارى في عقيدتهم في الذات الإلهيه ومنادياً لهم بالعوده الى جوهر التوحيد الذي هو أصل الديانات السماويه، ولاجدال في أن التوحيد هو أشرف العقائد الإلهيه وأجدرها بالإنسان في أرفع حالاته العقليه والخلقيه*[1].

وتبقى الحقيقه أن محمداً هو خاتم الرسل جاء بخاتمة الرسالات وأنها ناسخه لماقبلها من الرسالات، مثلما لايجوز الإزدواجيه في القوانين الوضعيه..

فما دامت التوراه الصحيحه منصوص عليها بالقرآن وكذا مثل ذلك في الإنجيل فلا داعي إذن لرسائل وكتب متعدده.. وقد احتواها كلها القرآن الكريم فكلها من مصدر واحد واله واحد، ولو كان معه آلهة أخرى..

لفسدت الأرض ولعلى بعضهم على بعض ولذهب كل إله بما خلق وعليه فإن الله واحد لاشريك له في الملك والقرآن والإنجيل والتوراه -كما يخبرنا القرآن- قالا بذلك،.

لا بل كلها جاءت بكلمة سواء مشتركه بين كل الشرائع، وكلها ترنوا للعدل في الحكم ونبذ الوثنيه الماديه وترك الشهوات وابتغاء مرضات الله في ذلك ..

هذه شريعة السماء وغيرها فهو ضلال الأرض..

---

(١). انظر/ الميزان في مقارنة الأديان /محمد الطهطاوي/ص٦٢

مظاهر الحوار والتواصل الإسلامي المسيحي

تواصل الحوار العلمي والفكري بين المسلمين والمسيحيين عقب كل مرحله من مراحل الصراع.. وهذا التواصل والتعارف ليس غريباً إذ جاء في القرآن نص خالد يأمر بالتعارف بين الناس – دائماً في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

وعن التسامح الديني بين الأديان تقول المؤلفه هونكه(١):

عندما دخل العرب الإسكندريه عام ٦٤٢م لم يكن هناك منذ زمن طويل مكتبات عامه كبيره وأما ماتهم به قائدهم عمرو بن العاص من احراقه لمكتبةالإسكندريه، والذي يعبر به حتى اليوم عن صوره مفزعه للبربريه والوحشيه فقد ثبت أنه مجرد اختلاق.

وتقول المؤلفه إن عمرواً فاتح الإسكندريه هو نفسه عمرو الذي ضرب المثل بتسامحه طوال فتوحاته، وحرم النهب والسلب والتخريب على جنوده وعمل ماكان غريباً عن فهم الشرقيين القدماء والمسيحيين على السواء لقد ضمن صراحة للمغلوبين حرية ممارسة شعائرهم الدينيه المتوارثه ..

واليك نموذج عقد صلح مع الشعوب المنهزمه على تلك المعاني: هذا الإتفاق يشمل كل الرعايا المسيحيين، كهنةً ورهباناً وراهبات، وهو يضمن لهم الحماية والأمن اينما كانوا حسب مشيئتهم وبالمثل يحمي كنائسهم ومساكنهم وأماكنهم المقدسه...ألخ

---

(١). شمس العرب تسطع على الغرب/ هونكه/ص٣٦٢-٣٦٣

ومن جانب آخر

في الثامن عشر من فبراير عام ١٢٢٩م مدّ الشرق للغرب يده مصافحاً وأمام هرمان فون سالتزا وتوماالاكويني قال السلطان الكامل:

(اقسم بالله العظيم وبقلب ونيةٍ سليمه أن أنفذ كل ما اتفقنا عليه فيً هذه الوثيقه والاأحنث بقسمي..وفي الساعة نفسها أقسم فردريك الثاني قائد المسيحيين في معسكره قرب يافا بين يدي فخر الدين يمين احترامه للإتفاق مؤكداً قسماً بقوله (إنه سيأكل لحم يده اليسرى إن هو حنث بهذا القسم العظيم).

وبهذا تم السلام بين الشرق والغرب دون حرب أو سلاح، وحقق فردريك الثاني ماعجزت عن تحقيقه الحروب الصليبيه.. وبقي بيت المقدس مدينه مقدسه لأبناء الديانتين على السواء وتتابع هونكه في كتابها القول:

أو لم يقل صلاح الدين لريشارد قلب الأسد (إن بيت المقدس مدينه مقدسه بالنسبه الينا ونحن نقدسها أكثر منكم لأنه منها بدأ الرسول اسراءه ليلاً الى السماء وهناك اجتمع الملائكة من حوله) لذلك وجب ان يحتفظ المسلمون بقبة الصخره والمسجد الأقصى وسمح للمسلمين بزيارة بيت لحم المسيحيه وفرض على الحجاج جميعاً مسلمين ومسيحيين - أن يراعوا مشاعر بعضهم بعضاً لافرق بين مسلم ومسيحي.. وبهذا الإتفاق كانت بداية لعصر جديد بالنسبه للغرب وهذا ولاريب يتناقض مناقضه تامه عقلية الحروب الصليبيه كما تقول المؤلفه في كتابها..

وفي هذا الجانب يرصد موريس بوكاي* (١)

العوائق القائمه بين المسلمين والمسيحيين بعناصر جوهريه أهمها:

١- أن المسيحيه لاتعترف باي وحي جاء بعد المسيح وحوارييه ولذلك فهي تستبعد القرآن.

---

(١). القرآن والتوراة والإنجيل/ موريس بوكاي/ص٦

٢- الطريقه التي استخدمت في تثقيف الأجيال وخاصه في استخدام بعض التسميات مثل (الدين المحمدي) أو المحمديون.. لتظل النفوس مقتنعه بذلك الراي الخاطىء القائل بأن تلك معتقدات انتشرت بفضل جهاد رجل وهناك كمايقول محاولات من هذا أو غيره هي لاسبعاد التنزيل الإسلامي أو الوحي ..

الأأنه من ناحيةٍ أخرى يرصد تغيّراً جذريا يتحقق اليوم على أعلى مستوى في العالم المسيحي في سبيل تشجيع الحوار الإسلامي المسيحي ومن مظاهر ذلك- كمايقول:[١]

الوثيقه التي طبعتها سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين إثر مجمع الفاتكان الثاني بعنوان(توجيهات لإقامة حوار بين المسلمين والمسحيين) والتي طبعت للمرة الثالثه عام ٧٠ م..

وفي هذه الوثيقه- كمايرى تطوراً في هذا الصدد حيث تشهد بعمق التحول في المواقف الرسميه فقد دعت الوثيقه الى استبعاد الصوره التي يُصوّر المسيحيون المسلمين عليها- ثم اهتمت الوثيقه (بالإعتراف بمظالم الماضي التي ارتكبها الغرب ذو التربيه المسيحيه في حق المسلمين) كمايقول *[٢].

والوثيقه تؤكد على وحدة الإيمان بالله عند الجماعتين.. وحصلت كما يقول بعض الحوارات بين مسلمين ومسيحيين أهمها استقبال المجلس المسكوني الاعلى للكنائس بجنيف وغبطة الأسقف إلشنجر أسقف استراسبوغ كبار علماء المملكه العربيه السعوديه..

---

(١). القرآن والتوراة والإنجيل والعلم/موريس بوكاي/ص٧

(٢). انظر/القرآن والتوراة والإنجيل/موريس بوكاي/ص٧

وضمن هذا التطور ظهر كتيب من قبل- من الفاتيكان لغير المسيحيين عام ٦٧م تعلن فيها سكرتارية الفاتيكان.[١]

أن الفكره التي كانوا يعلنونها عن الإسلام مشوهه وغير صحيحه وهم أخذوا في تصحيح كثير من المفهومات عنه في الوقت الحاضر.. منها:

١-فينفون عن الإسلام التعصب أو أنه انتشر بالسيف ولايحترم المرأه ويبينون الوجه الصحيح في كل هذه الامور.

٢- ويتحدثون بدقه عن معنى الجهاد الإسلامي.

٣- وأن الله الواحد الأحد الذي يعبده المسلمون هو الله خالق السماوات والأرض الذي يعبده المسيحيون.. وبناءً على ذلك يطلبون من المسيحيين في جميع الأرض أن يصححوا مفهوماتهم..

عن الإسلام، ويعلنوا تراجعهم عن هذه التشويهات والأخطاء التي كانوا واقعين بها.

ثم ظهر كتاب آخر سنة ١٩٨٠عنوانه (كلنا أبناء ابراهيم) في باريس وأصدرته جمعيتان هناك: الأولى: جمعية التعليم الديني في فرنسا، والأخرى: جمعية العلاقات مع الإسلام:[٢]

وهو كتاب يقدم للمسيحيين ليعلموا ماهو الإسلام من وجهة النظر المسيحيه وفيه شيء من الإنصاف للإسلام فيقول مثلاًعن القرآن:

١-هو الكتاب الموحى به الذي تلقاه محمد عن الله بواسطة الملك جبريل .

٢- والقرآن يهيب بالإنسان الى التفكير وليس نوراً ينير للإنسان معنى الحياة والموت فحسب ولكنه دليل ايضاً لكل مجالات الحياة الشخصيه والإجتماعيه.

---

(١). الميزان في مقارنة الأديان / محمد الطهطاوي/ص٣٢٠

(٢). الميزان في مقارنة الأديان / محمد الطهطاوي/٣٢١

٣- واننا نجد في القرآن أسساً يمكن أن نقيم عليها نظاماً متيناً للعدالة الإجتماعيه والإقتصاديه والسياسيه والتشريع والحقوق والعلاقات الدوليه.

٤- ويعترف القرآن بجميع الانبياء السابقين منذ آدم حتى محمد (عليه الصلاة والسلام)..

٥-**وعن الإسلام** يتكلم عن أركان الإسلام ويصحح كل الأخطاء التي كانت تجري على ألسنة المسيحيين وفي النهايه يتكلم عن تطور العلاقه بين المسيحيين والإسلام..الخ .

وبعد: هو مانراه اليوم في المجتمعات العربيه والإسلاميه التي يتساوى فيها الناس في الحقوق والواجبات – في مختلف الأعمال والميادين، دون النظر الى الألوان والأجناس أو الأديان،.

تم بحمد الله

المصادر والمراجع

١. تفسير القرآن العظيم – ابن كثير/ دار الكتب العلميه–الطبعه الأولى ١٤١٤ هـ–١٩٩٤م.

٢. تفسير المنار – محمد رشيد رضا.

٣. النصرانيه من التوحيد الى التثليث – محمد أحمد الحاج / ١٩٩٢.

٤. الميزان في مقارنة الأديان – محمد عزت الطهطاوي/١٩٩٣.

٥. ينابيع المسيحيه – خواجه أفندي /١٩٩١.

٦. عدو المسيح – نيتشه، د.يسرى ابراهيم/سيناء للنشر/١٩٩٠.

٧. قصص الأنبياء – الثعالبي /المكتبه الثقافيه.

٨. القرآن والتوراة والإنجيل والعلم– د.موريس بوكاي/جمعية الدعوه الإسلاميه.

٩. ظاهرة انتشار الإسلام – محمد فتح الله الزيادي /١٩٨٣.

١٠–الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار – محمد البهي/ دار الفكر بيروت/١٩٧٣.

١١– قصة الحضاره – و.ل ديورانت /ترجمة محمد بدران /الإداره الثقافيه/ الجامعه العربيه..جزء١١.

١٢–المسيحيه – أحمد شلبي /ط.٨٠/النهضه المصريه/١٩٨٤.

١٣– النظم السياسيه – محمد كامل ليله /النهضه العربيه/بيروت /١٩٦٧.

١٤– روح الإسلام – سيد أمير علي/ترجمة عمر الديراني/بيروت/ ١٩٦١م.

١٥ – الفكر الديني في مواجهة العصر – د.عفت الشرقاوي/دار العوده بيروت.

١٦- في الفكر الغربي المعاصر- د. حسن حنفي /المؤسسه الجامعيه.

١٧- التوحيد وواقعنا المعاصر - د.عدنان النحوي/دار النحوي للنشر/١٩٩٣.

١٨- بعض الدوريات والمجلات..

فهرس الموضوعات

الفصل السادس

ترجمة المؤلف(تكتب على الغلاف من الخلف)

بعد أن أنهى المؤلف الدراسات المنهجيه، عكف على حفظ القرآن ومن ثم التأمل والبحث في آياته ،بقي كذلك عدة سنوات .
في رحلته تلك اكتشف عظمة الكتاب ،وماتنطوي عليه آياته في كل مناحي الحياة ،فنذر نفسه على خدمته مادام فيه عرق ينبض ،فوضع في مجاله مختلف الدراسات طبع منها:
١-منهج القرآن في الإقتصاد
٢-المرأه في ظل شريعة تالقرآن
٣-مدينة الله في الأرض - قراءه معاصره
أما غير المطبوع منها :
١-الله يتجلى في عصر الطاقه
٢-العقل محاوله لفهم عصري
والآن جاء دور هذا الكتاب - آفاق الحوار الإسلامي المسيحي أرجوأن يكون فيه النفع والخير الكثير.